دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ

رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ فِي بَيَانِ تَحْرِيمِ العَصَبِيَّةِ الجَاهِلِيَّةِ،
وَخَطَرِهَا عَلَى الدِّينِ وَوِحْدَةِ المُجْتَمَعِ. تُوَضِّحُ حَقِيقَتَهَا،
وَتَكْشِفُ صُوَرَهَا المُعَاصِرَةَ، وَتُبَيِّنُ مَوْقِفَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الحَازِمَ مِنْهَا.

تَأْلِيفُ

أَبِي المُنْذِرِ عَمَّارِ بْنِ عَبْدِ الجَلِيلِ بْنِ هَزَّاعٍ الوُرَيْفِيِّ الحُبَانِيِّ

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَالمُسْلِمِينَ

قَرَأَهَا وَأَذِنَ بِنَشْرِهَا
فَضِيلَةُ الشَّيْخِ العَلَّامَةِ
يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ الحَجُورِيِّ
حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

دَارُ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ
لِلطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ
اليَمَنُ - عدن

اطلاع وإذن بنشر من شيخنا العلامة
يحيى بن علي الحجوري
حفظه الله تعالى

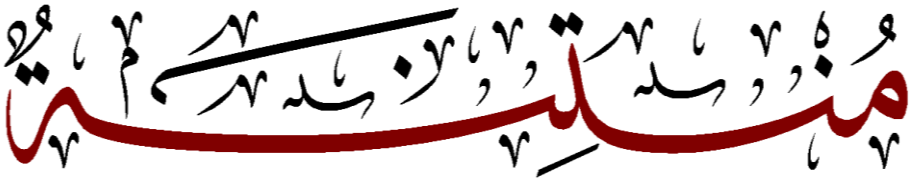

رِسَـالَةٌ شَـرْعِيَّةٌ مُخْتَصَـرَةٌ فِي بَيَانِ تَحْرِيمِ العَصَـبِيَّةِ الجَاهِلِيَّةِ، وَخَطَرِهَا عَلَى الدِّينِ وَوِحْدَةِ المُجْتَمَعِ، تُوَضِّحُ حَقِيقَتَهَا، وَتَكْشِـفُ صُـوَرَهَا المُعَاصِـرَةَ، وَتُبَيِّنُ مَوْقِفَ الكِتَابِ وَالسُّـنَّةِ الحَازِمَ مِنْهَا، كَمَا تَدْعُو إِلَى عِلَاجِهَا شَـرْعًا وَتَرْبَوِيًّا، وَإِلَى الإِجْتِـمَاعِ عَلَى مِيزَانِ التَّقْوَى وَنَبْذِ كُلِّ دَعْوَى جَاهِلِيَّةٍ

تأليف
أبي المنذر عمار بن عبد الجليل الحوباني
غفر الله له ولوالديه

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى:

١٤٤٧ هـ ٢٠٢٦ م

ن/ ٧٧٣٥٥٣٢٨٢ ن/ ٧٧٣٥٥٣٢٨٢

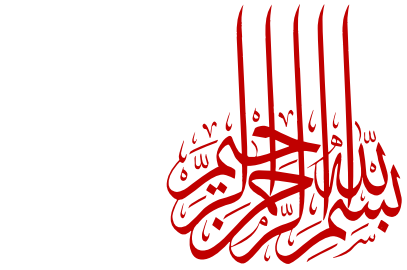

ت/ ٧٧٣٥٥٣٢٨٢

اطلاع وإذن بنشر

من شيخنا الناصح الأمين يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى

وقد تفضّل شيخُنا العلامةُ، ووالدُنا الناصحُ الأمين، فضيلة الشيخ يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى وبارك في عمره وعلمه، بقراءة هذه الرسالة كاملة، والاطلاع على جميع ما تضمنته من مباحث ومقاصد، وأذن بنشرها، مع ما هو معلوم من شدة انشغاله، وكثرة مسؤولياته، وتعدد مهامه الدعوية والعلمية.

وإن هذا من كريم أخلاقه، وعظيم نصحه، وحرصه على بيان الحق، ولمّ الشمل، وسدّ أبواب الفتن، جزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء، ونفع به البلاد والعباد، وجعله ذخرا للسنة وأهلها.

وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناته، وأن يبارك في علمه، وأن يمد في عمره على طاعته، وأن يجزيه عنا خير ما جزى عالما عن طلابه، وناصحا عن من نصحهم.

مقدمة المؤلف حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن من أعظم ما ابتليت به المجتمعات قديما وحديثا داء العصبية

الجاهلية، ذلك الداء الذي يقوم على احتقار الناس، والتفاخر بالأنساب، أو المناطق، أو القبائل، أو المذاهب، أو المسميات، وجعل هذه الأمور ميزانا للتفاضل بين عباد الله، مع أن الاسلام جاء لهدم هذه الموازين الباطلة من أصلها، ورد الناس جميعا إلى ميزان واحد عادل لا يتبدل.

وقد تفشت في زماننا صور متعددة من العنصرية والعصبيات المقيتة، يتنابز الناس فيها بالألقاب، ويحتقر بعضهم بعضا بمسميات جاهلية، تمزق الصف، وتزرع البغضاء، وتورث الأحقاد، وتخالف صريح الكتاب والسنة، وهدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ومنهج السلف الصالح.

وليس هذا الداء خاصًا ببلد دون بلد، ولا بقوم دون قوم، بل هو بلاء يتكرر بأسماء مختلفة وصور متغيرة، فمرة يكون باسم القبيلة، ومرة باسم المنطقة، ومرة باسم اللون أو العرق، ومرة باسم المهنة أو الطبقة الاجتماعية، حتى صار بعض الناس يعيب أخاه لا لدين ولا لخلق، وإنما لاسم أو لقب أو حرفة(١)، وهذا كله من بقايا الجاهلية التي أبطلها الاسلام.

وقد أبطل الإسلام هذا كله عمليا قبل أن يبطله قولا، فلم يرفع شريفا بنسبه مع كفره، ولم يضع مؤمنا لفقره أو أصله، فرفع بلالا الحبشي، وسلمان

(١) المراد بالحرفة كل عمل مباح يتكسب به الإنسان، كالجزار، والحلاق، والخراز، والنجار، والحداد، ونحوهم، ولا يجوز شرعا احتقار أحد بسبب مهنته، فإن هذه الأعمال قد قام بها أقوام صالحون، وكان كثير من الأنبياء والصحابة يتكسبون بإعمال أديهم، ولم يجعل الإسلام نوع الحرفة سببا لرفعة ولا لضعة، بل الميزان عند الله الإيمان والعمل الصالح.

الفارسي، وصهيبًا الرومي بالإيمان، وأسقط أبا لهب القرشي مع شرف نسبه بالكفر.

وجعل الميزان هو الإيمان والعمل الصالح، ورفع من رفعه الله بالتقوى، ووضع من وضعه الله بالكفر أو الفجور، فلا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود، إلا بالتقوى.

ومن الظلم الظاهر، والجور البيّن، أن تُحمّل جماعة كاملة، أو أهل بلد بأسره، أخطاء بعض أفرادها، أو أفعال فساقها، فيُجعل اسم معيّن أو لقب دارج سبة عامة، يُرمى بها الصالح والطالح، والعالم والجاهل، والداعية والعاصي، مع أن العدل الذي جاءت به الشريعة يقتضي التفريق بين الأفراد، والحكم على كل نفس بعملها، لا بانتسابها.

اسم الرسالة وسبب كتابتها

وقد كان من أسباب كتابة هذه الرسالة وقوع بعض صور هذا الداء المؤلم، أنني في بعض المرات حضرت خصومة بين أخ وأخيه وحاولت أن أكون مصلحا بينهما فتفاجأت بأحدهما يقول للآخر «**أنت دحباشي شمالي**» وحز هذا في نفسي لأنها مما لا يجوز شرعا، ولا يليق بأهل الإسلام فعزمت على كتابة هذه الرسالة.

ومع ذلك فهذه الرسالة ليست موجهة لبلد بعينه، ولا لقضية محلية خاصة، بل هي رسالة عامة لكل زمان ومكان فهناك على مستوى البلدان من يحتقر أخاه بمسميات عرقية.

ولما كان هذا الداء خطيرا في أثره، عظيما في شره، كان لزاما بيانه، والتحذير منه، وبيان حكمه الشرعي، وآثاره المدمرة على القلوب والمجتمعات، وسبل علاجه، نصحا لله، ولكتابه، ولرسوله، وللمؤمنين.

وقد سميت هذه الرسالة بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»

لأن هذا اللفظ النبوي الجامع يلخص حقيقة العصبية، وحكمها، وخطرها، ويقطع الطريق على كل محاولة لتزيينها أو تبريرها، فهي نتنة في أصلها، فاسدة في آثارها، مرفوضة في ميزان الشرع، مهما غيرت أسماؤها أو

تلونت صورها.

مثالٌ معاصرٌ على العصبية الجاهلية: لقب (دِحْبَاشِي شمالي)

وقد تفشى في بعض البيئات اليمنية لون من ألوان العصبية المقيتة، لا يمت إلى الإسلام ولا إلى الدين بصلة، وهو ما يُعرف بالعنصرية المناطقية بين الشمال والجنوب، حيث يُنبز بعض أهل الجنوب إخوانهم من الشمال بلقب (دِحْبَاشِي)، أُلصق ظلما بكل من ينتسب إلى بلاد الشمال، مع أن هذا الاسم في أصله يعود إلى شخص بعينه اسمه في التمثيل (دِحْبَاش)، عُرف بالتمثيل الكوميدي، فصار يُستعمل سبة عامة، ويُنسب إليه عالم من الناس والقبائل ممن لا علاقة لهم به لا فعلا ولا منهجا ولا خلقا.

وهذا من أبطل الباطل، وأقبح الظلم، إذ كيف تُنسب أمة من الناس، فيهم العلماء والدعاة والصالحون والشرفاء، إلى فعل رجل واحد، أو خطأ شخص بعينه، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٦٤].

فالشريعة تقطع هذا المسلك من أصله، وتبطل تحميل الجماعة وزر الفرد، أو إلصاق العيب باسم أو جهة لمجرد الانتماء.

نصيحة لبعض إخواننا من أهل الجنوب

ولهذا فإني أوجه نصيحة لبعض إخواننا في الجنوب وليسوا الكل فهناك

من أهل الجنوب أناس أهل دين ومن يزن أخلاقه في هذا الباب ويتعامل مع إخوانه من أهل الشمال بتعامل الأخوة الدينية، وإنما النصيحة لمن يحمل هذا الفكر العنصري أن يتقوا الله في ألسنتهم، وأن يحفظوا وحدتهم، وأن لا يفتحوا بابا من أبواب الجاهلية يورث العداوة والبغضاء، ويهدم ما بقي من روابط الأخوة، كما أن النصيحة لإخواننا في الشمال ألا يحملهم هذا الظلم على مقابلة العصبية بعصبية، ولا الخطأ بالخطأ، فإن علاج الجاهلية ليس بإحيائها، بل بإماتتها، والوقوف عند ميزان الشرع، وضبط اللسان، وتحكيم العدل.

فالعصبية إذا اشتعلت أحرقت الجميع، ولا ينجو منها إلا من لزم التقوى، وحفظ لسانه، وعرف أن ميزان الله لا يقوم على اسم ولا منطقة، وإنما على إيمان وعمل صالح.

وقد التزمت في هذه الرسالة الاختصار، والوضوح، والبعد عن التهييج، مع محاولة معالجة الداء من جذوره، رجاء النفع، وابتغاء وجه الله تعالى.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه، نافعا لعباده، مصلحا للقلوب، جامعا للكلمة.

كَتَبَهُ

أبو المنـــــذر

عـمـار بن عبـد الجليل

ابـــن هـــزاع الـوريـــفـــي

الحـــــــــوبـــــــانـــــي

عَـفَا اللهُ عَنْـــهُ، وَغَـفَـــرَ لَهُ وَلِـوَالِـدَيْـــــهِ.

دار الحـديـث السـلـفـيـة بشـحـوح -سيـئـون-حـضـرموت

القائم عليها فضيلة شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله

لـســـنـــة ٧/ شعبان / ١٤٤٧ مـن هـــجـرة الـــنَّـــبـــيّ

مـحـمـــــد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ

الباب الاول:
حقيقة العصبية الجاهلية وخطرها

العصبية الجاهلية من أخطر الآفات التي تصيب القلوب والمجتمعات، لأنها تقوم على ميزان فاسد، وتغذي الكبر، وتزرع البغضاء، وتنازع أصل الأخوة الإيمانية التي جاء الإسلام بتقريرها وتعظيمها.

وقد كان من أعظم مقاصد الشريعة هدم قواعد الجاهلية في التفاضل، وإقامة الناس على ميزان واحد، لا فضل فيه إلا بالتقوى والعمل الصالح، فحرمت كل دعوى تؤدي إلى احتقار الخلق، أو تمييز بعضهم على بعض بغير حق.

ولما كانت العصبية تتلون بألوان متعددة، وتلبس لبوسا مختلفة، فقد يظن بعض الناس أنها من باب النصرة المشروعة، أو الغيرة المحمودة، وهي في حقيقتها من بقايا الجاهلية التي حذر منها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أشد التحذير.

ومن هنا جاء هذا الباب لبيان حقيقة العصبية الجاهلية، وتعريفها الصحيح، وبيان حكمها الشرعي، وخطرها العظيم على الدين والمجتمع، تمهيدا لعلاجها، والتحذير من الوقوع فيها، وقطع الطريق على كل شبهة تزينها أو تبررها.

الفصل الاول: معنى العصبية لغة وشرعا

العصبية في اللغة:

هي: مأخوذة من العصب، وهو الشد والربط، ومنه تعصب الرجل لقومه، إذا نصرهم على غيرهم، ظالمين أو مظلومين.

العصبية في الشرع:

هي: نصرة الإنسان قوما أو فئة أو جهة على غيرهم بالباطل، أو تقديمهم لا لحق ولا لدين، وإنما لمجرد الانتماء أو الهوى.

وليست كل نصرة محرمة، بل النصرة المحمودة هي نصرة الحق والعدل، أما **العصبية المذمومة** فهي نصرة الباطل، أو تفضيل الناس بغير ميزان الشرع.

وقد فرق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بين الأمرين:

فعن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ.

قَالَ: «**لَا، وَلَكِنْ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُعِينَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ**»(١)

يبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث الفرق الدقيق بين المحبة الجِبِلِّيّة المباحة، وبين **العصبية الجاهلية المحرمة**، فمحبة الرجل لقومه أمر فطري لا يؤاخذ عليه، ما لم تحمله على الظلم أو نصرة الباطل.

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١٦٥٤١) وحسنه لغيره محققو «مسند أحمد» (٢٨/ ١٩٧ ط الرسالة).

أما **العصبية المذمومة** فهي أن ينصر الإنسان قومه أو جماعته على غيرهم بغير حق، فيعينهم على الظلم، أو يبرر باطلهم، أو يقدمهم لمجرد الانتماء، لا لميزان الشرع والعدل، وفي هذا قطع لطريق الشبهة التي يلبس بها بعض الناس العصبية بثوب المحبة أو الغيرة.

الفصل الثاني: العصبية من أخلاق الجاهلية التي أبطلها الإسلام

جاء الإسلام ليهدم قواعد الجاهلية، ويقيم الناس على ميزان واحد، لا فرق فيه بين عربي ولا عجمي، ولا أبيض ولا أسود، ولا شريف ولا وضيع، إلا بالتقوى(١) والعمل الصالح.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣].

فأبطل الله تعالى بهذه الآية الكريمة كل موازين الفخر الجاهلية، ورد الناس إلى أصل واحد، وأوضح أن اختلاف الشعوب والقبائل ليس سببا للتعالي ولا للاحتقار، وإنما هو للتعارف والتعاون، لا للتفاخر والتنازع، وجعل ميزان التفاضل الحقيقي هو التقوى والعمل الصالح، لا النسب ولا البلد ولا الاسم.

---

(١) **التقوى**: أن يجعل العبد بينه وبين سخط الله وقاية، بفعل ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه، ظاهرا وباطنا، فهي امتثال الاوامر واجتناب النواهي عن علم وبصيرة، لا مجرد دعوى ولا انتساب.

وعلى هذا فالتفاضل بالتقوى إنما هو بالتزام الشرع والعمل الصالح، لا بالانساب ولا بالمناطق ولا بالمسميات.

وفي هذا قطع لأصل العصبية من جذورها، وبيان أن كل دعوى تقوم على تفضيل الناس بغير هذا الميزان فهي دعوى باطلة مردودة، تناقض مقصود الشريعة في جمع الكلمة وصيانة القلوب من الكبر والظلم.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فتح الباري لابن حجر» (١٠/ ٤٦٨):

وَقَدْ جَاءَ الشَّرْعُ بِالتَّسْوِيَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مُعْظَمِ الْأَحْكَامِ وَأَنَّ التَّفَاضُلَ الْحَقِيقِيَّ بَيْنَهُمْ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّقْوَى فَلَا يُفِيدُ الشَّرِيفَ النَّسَبِ نَسَبُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى وَيَنْتَفِعُ الْوَضِيعُ النَّسَبِ بِالتَّقْوَى كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سورة الحجرات: ١٣]. اهـ

وجاء عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟»

قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»

قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ.

ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»

قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ.

ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟»

قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ.

قَالَ: «فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ - قَالَ: وَلَا أَدْرِي قَالَ: أَوْ أَعْرَاضَكُمْ أَمْ لَا - كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَبَلَّغْتُ؟»

قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»(١).

ومع هذا البيان الواضح، وقع بعض الناس في الرجوع إلى أخلاق الجاهلية، فتعصبوا للأسماء، والمناطق، والقبائل، والمذاهب، وجعلوا ذلك سببا للطعن والاحتقار، فكان هذا من أعظم الانحراف عن هدي الإسلام.

فيبين هذا الحديث أن الإسلام قطع كل أسباب التفاضل الجاهلي من أصلها، فلم يبق مجالا للفخر بالأنساب، ولا بالمناطق، ولا بالألوان، ولا بالاسماء، وجعل ميزان الكرامة واحدا لا يتغير، وهو التقوى.

فكل دعوى تقوم على تفضيل فئة على أخرى بغير هذا الميزان هي دعوى جاهلية باطلة، وإن تلونت بأسماء جديدة، أو لبست لبوس الدين أو العرف، وهي مما يناقض مقصود الشريعة في جمع الكلمة، وصيانة القلوب من الكبر والاحتقار.

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢٢٩٧٧)، وصححه الإمام الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ١٣٥)، والإمام الوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٢/ ٤٥٥).

الفصل الثالث: الحكم الشرعي للعصبية الجاهلية

حكم العصبية الجاهلية التحريم، وهي من كبائر الذنوب، لما تشتمل عليه من مفاسد عظيمة، ولما يترتب عليها من آثار خطيرة في الدين والاخلاق والمجتمع، وقد وردت النصوص الصريحة من الكتاب والسنة بذمها والتحذير منها أشد التحذير.

فمن ذلك ما جاء عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ، قَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: فِي جَيْشٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ»

فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ.

وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ.

فَسَمِعَ ذَاكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى جَاهِلِيَّةٍ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ.

فَقَالَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ».

فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَا وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ».

وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ

الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ.(١).

(كسع): ضربه من خلفه أو أصابه في مؤخرته، والمراد به هنا أذى يسير وقع بين الرجلين، ومع ذلك أنكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما ترتب عليه من دعوى جاهلية.

فوصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هذه الدعوى بأنها من دعوى الجاهلية، مع أن القائلين من خير القرون، يدل على أن العصبية محرمة لذاتها، لا لاعتبار الأشخاص، وأن كل دعوى تقوم على الانتماء لا على الحق فهي مردودة شرعا، مهما حسنت النيات أو عظمت المقامات.

ووصفه لها (منتنة) تشبيه بليغ يدل على خبثها وقبحها، وأنها تفسد القلوب وتنتن بها المجتمعات، كما يفسد النتن الهواء، وفي ذلك إشارة إلى أن العصبية لا تجتمع مع صفاء الإيمان ولا مع سلامة الصدر، وأنها تنافي الأخوة الإيمانية التي أمر الله بها.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» (١/ ٢٤٦):

فقد دلت هذه الأحاديث على أن إضافة الأمر إلى الجاهلية يقتضي ذمه، والنهي عنه، وذلك يقتضي المنع من أمور الجاهلية مطلقا، وهو المطلوب في هذا الكتاب.اهـ.

وجاء عن جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

(١) رواه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٦).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»(١).

(رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ): أي راية عمياء لا يتبين فيها حق من باطل، ولا تقوم على هدى ولا شرع، وإنما ترفع لنصرة العصبية والهوى، وسميت عمية لأنها تعمي أصحابها عن الحق والعدل.

فجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ القتال تحت راية العصبية قتلة جاهلية، أي موتة على حال أهل الجاهلية، لما فيها من مشابهتهم في تقديم الهوى والانتماء على الحق والعدل، وفي هذا أعظم زجر عن إحياء العصبيات، والدعوة إليها، أو الانتصار لها بأي صورة كانت.

وخلاصة ذلك:

أن العصبية الجاهلية محرمة تحريما غليظا، تنافي كمال الإيمان، وتفسد القلوب، وتمزق المجتمعات، وكل دعوى تفضي إلى احتقار الناس، أو نصرة الباطل، أو تقديم الانتماء على الحق، فهي من العصبية الجاهلية التي يجب على المسلم البراءة منها، والتحذير منها، والدعوة إلى تركها.

الفصل الرابع: خطورة العصبية على الدين والمجتمع

العصبية الجاهلية لا تقف آثارها عند حدود الكلام، بل تجر إلى مفاسد عظيمة تعود بالشر على الدين والمجتمع، ومن أخطر تلك المفاسد ما يأتي:

✂ **أولاً**: تمزيق وحدة المسلمين، وتفريق كلمتهم، وإضعاف رابطة الأخوة

(١) رواه مسلم (١٨٥٢).

الإيمانية التي أمر الله بها.

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [سورة الحجرات: ١٠].

فالعصبية تناقض الاعتصام بالكتاب والسنة، وتهدم أصل الأخوة التي جعلها الله أساس اجتماع المسلمين.

✂ **ثانيًا**: إشعال الأحقاد والعداوات بين أبناء المجتمع الواحد، وبث روح البغضاء والكراهية بينهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [سورة المائدة: ٩١].

فالعصبية من أعظم مداخل الشيطان لإفساد القلوب وإشعال العداوات.

✂ **ثالثًا**: إضعاف الدعوة إلى الله، وتنفير الناس من الدين، حين يرون أهله متنازعين متعصبين.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٤٦].

فالتنازع القائم على العصبية سبب للفشل وذهاب القوة وضياع أثر الدعوة.

✂ **رابعًا**: تسهيل تسلط الأعداء، إذ إن المجتمعات المتفرقة المتنازعة تكون أضعف في مواجهة خصومها.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾

[سورة آل عمران: ١٣٩].

فالعلو مشروط بالإيمان والاجتماع، لا بالتفرق والتحزب.

✂ **خامسًا**: اعتياد احتقار الخلق، وهو من أعظم أمراض القلوب، وأشدها خطرا على سلامة الإيمان وصلاح النفس.

لما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»(١)

فاحتقار الناس ثمرة مباشرة للعصبية ودليل على فساد القلب.

✂ **سادسًا**: تعويد الناس على الظلم ونصرة الباطل، والدفاع عن الخطأ لمجرد الانتماء.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [سورة المائدة: ٨].

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا».

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟.

(١) رواه مسلم (٢٥٦٥).

قَالَ: «تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»(١)

فالعصبية تقلب موازين النصرة وتجعل الانتماء مبررا للباطل.

✂ **سابعًا**: فساد القلوب بالكبر والعجب، واحتقار عباد الله، وهو سبب لسقوط الهيبة والمكانة عند الله تعالى.

لما جاء عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ».

قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً.

قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»(٢).

فالعصبية صورة ظاهرة من صور الكبر المذموم.

✂ **ثامنًا**: إحياء أخلاق الجاهلية في المجتمع، وإضعاف أثر الكتاب والسنة في النفوس.

لما تقدم عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ»(٣)

فوصفها بالنتن يدل على خبثها وأنها من بقايا الجاهلية المحرمة.

✂ **تاسعًا**: تعطيل ميزان العدل، إذ تقدم الروابط والانتماءات على الحق، فيظلم البريء وينصر الظالم.

---

(١) رواه البخاري (٦٩٥٢).

(٢) رواه مسلم (٩٢).

(٣) تقدم تخريجه (ص:١٧).

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [سورة النساء: ١٣٥].

فالعدل لا يجتمع مع العصبية لأنها تقدم الهوى على الحق.

✂ **عاشراً**: إضعاف هيبة الشرع في النفوس، حين يرى التناقض بين النصوص الداعية إلى الأخوة، والواقع المتعصب المخالف لها.

قال الله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾ [سورة البقرة: ٤٤].

فمخالفة العمل للقول من أعظم أسباب سقوط الهيبة وضياع التأثير.

✂ **الحادي عشر**: إشاعة سوء الظن بين المسلمين، وتمزيق الثقة المتبادلة، مما يفسد العلاقات ويهدم جسور التعاون.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ [سورة الحجرات: ١٢].

فالعصبية تغذي سوء الظن وتزرع الشك بين القلوب.

✂ **الثاني عشر**: تعويد الألسنة على السب والطعن والتنابز، وهو باب واسع من أبواب الفسوق والاثم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ [سورة الحجرات: ١١].

فالتنابز مظهر عملي للعصبية الجاهلية.

✂ **الثالث عشر**: إغلاق باب النصيحة والإصلاح، لأن المتعصب لا يقبل الحق ممن خالفه ولو كان معه الدليل.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٦].

فالعزة الجاهلية ثمرة من ثمار العصبية.

✂ **الرابع عشر**: تربية الأجيال على مفاهيم فاسدة، فينشأ الأبناء على الأحتقار والتصنيف، لا على الأخوة والعدل.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [سورة التحريم: ٦].

فالتربية على العصبية خيانة للأمانة التي كلف الله بها الوالدين.

✂ **الخامس عشر**: استجلاب سخط الله وعقوبته، وزوال النعم، ووقوع الفتن.

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [سورة الأنفال: ٥٣].

ففساد القلوب بالعصبية سبب لزوال النعم وحلول النقم.

وخلاصة الأمر:

أن العصبية الجاهلية داء خطير، يجمع بين فساد العقيدة، وسوء الخلق، وظلم العباد، وتمزيق المجتمعات، ولا يكاد شر من شرور القلوب إلا وله بها تعلق، ولهذا جاء الشرع بسد ذرائعها، والتحذير منها، والدعوة إلى نبذها من أصلها.

ولهذا كان التحذير من العصبية الجاهلية شديدا، وكان علاجها واجبا

شرعا، حفاظا على الدين، وصيانة للمجتمع، وحماية للقلوب من الفساد والضلال، لأن العصبية تقوم على زرع الأحقاد في النفوس، وهي أصل الانتكاسات والشرور، ومفتاح كثير من الفتن والظلم.

لما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»(١)

يبين هذا الحديث أن احتقار المسلم من أعظم أبواب الشر، لأنه يفسد القلب، ويهدم أصل الأخوة الإيمانية، ويجر إلى انتهاك الحقوق التي جعلها الله محرمة.

واحتقار الناس هو ثمرة العصبية الجاهلية، وأول طريق الأحقاد والبغضاء، فإذا تمكن من القلب أورث الظلم، وقطع أواصر الأخوة، وكان سببا في الانتكاسات والشرور التي تصيب الافراد والمجتمعات.

(١) رواه مسلم (٢٥٦٥).

الباب الثاني:
موقف الإسلام الحاسم من العصبية الجاهلية في النصوص الشرعية

لما كانت العصبية الجاهلية من أعظم أسباب فساد القلوب، وتمزيق المجتمعات، والانحراف عن منهج الوحي، جاء الإسلام بموقف حاسم قاطع منها، لم يكتف فيه بالوعظ العام، بل أبطل أصولها، وهدم بنيانها، وسد كل الذرائع المفضية إليها.

وقد تنوعت النصوص الشرعية في تقرير هذا الموقف، كما تقدم الإشارة لبعضها وما سيأتي كلها تؤكد أن العصبية خلق جاهلي محرم، ينافي مقاصد الشريعة في العدل، والأخوة، والاجتماع، ويؤدي إلى الفتن والشرور وسوء العواقب.

الفصل الاول: النصوص القرآنية في إبطال العصبية والتفرق

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٥].

فنهى الله عن التفرق بعد قيام الحجة وظهور الحق، والعصبية من أعظم أسباب هذا التفرق، لأنها تقدم الانتماء والهوى على الدليل.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾

[سورة الأنعام: ١٥٩].

ففي هذه الآية براءة صريحة من كل مسلك يقوم على التحزب والتشيع، لا على الإتباع والعدل.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة ص: ٢٦].

والعصبية في حقيقتها اتباع للهوى، لا للحق، فهي داخلة في هذا النهي دخولا أوليا.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة المائدة:٤٨].

فدل على أن الاختلاف في الأحوال لا يبيح التنازع ولا العصبية، وإنما المشروع فيه التنافس في الطاعة والخير.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ سورة الأنبياء: ٩٢].

فقرر سبحانه وحدة الأمة في أصلها وغايتها، وأن ربها واحد، فلا مسوغ لتفرقها بعصبيات جاهلية.

وقال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [سورة الشورى: ١٣].

فجعل عدم التفرق في الدين أصلا مشتركا بين جميع الشرائع، مما يدل على خطورة العصبية وفسادها.

وقال الله تعالى: ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الروم: ٣١-٣٢].

فشبه المتحزبين المتفرقين بالمشركين في مسلكهم، لما في التحزب من تقديم الهوى على الحق.

فهذه الآيات تقرر أن التفرق والتحزب القائم على العصبية خروج عن مقصود الوحي، وأن الاجتماع الممدوح هو الاجتماع على الحق، لا على الاسم ولا الراية.

الفصل الثاني: نصوص السنة في هدم العصبية والفخر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [سورة الشعراء: ٢١٤]. دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا، فَعَمَّ، وَخَصَّ.

فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ

لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا»(١)

هذا الحديث من أعظم النصوص النبوية في إبطال العصبية الجاهلية، وقطع التعلق بالأنساب، إذ خاطب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أقرب الناس إليه نسبا، وأشرفهم قبيلة، فلم يجعل لأحد منهم ميزة ولا ضمانا، بل كرر عليهم النداء: (أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ).

وفي تخصيصه ابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالخطاب، مع شرف نسبها وفضلها، أبلغ بيان أن القرب من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لا يغني عن العمل، وأن النجاة فردية، لا تورث بالنسب، ولا تشترى بالقرابة.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا) نص قاطع في إسقاط كل صور الاتكال على النسب، والاحتماء بالانتماء، وادعاء الشفاعة بغير حق.

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في خطبته يوم النحر:

«أَلَا إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَأَوَّلُ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ...»(٢).

هذا الحديث أصل كلي في إبطال الجاهلية بكل صورها، إذ أعلن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في أعظم مشهد، وأشرف زمان، وأقدس مكان، أن كل ما كان من أمر الجاهلية قد أُلغي، وأُسقط، ووُضع تحت القدم، فلا كرامة له،

(١) رواه البخاري (٤٧٧١) ومسلم (٢٠٧)

(٢) رواه مسلم (١٢١٨).

ولا بقاء، ولا اعتبار.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (كل شيء من أمر الجاهلية) صيغة عموم، تدخل فيها:

- العصبية القبلية
- الفخر بالأنساب
- التنابز بالألقاب
- الظلم الاجتماعي
- الاستعلاء الطبقي
- وسائر أعراف الجاهلية وأخلاقها

فلم يُبق الإسلام منها شيئا، لا في الدماء، ولا في الأخلاق، ولا في الموازين، ولا في العلاقات.

وفي ذكر الدماء مع الجاهلية إشارة إلى أن العصبية من أعظم أسباب سفك الدماء، وأن الشريعة جاءت بسد هذا الباب من أصله، لا بمعالجة آثاره فقط.

ووضعُ هذه الأمور (تحت القدم) تصوير بليغ لإهانتها وإسقاط هيبتها، وقطع التعلق بها، فلا يجوز إحياؤها بعد هذا الإعلان النبوي القاطع، ومن أحيا شيئا منها فقد ناقض هذا الأصل، وفتح بابا من أبواب الجاهلية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ اللهَ عز وجل قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ: مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ: أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ،

إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتِنَ»(١)

ومعنى (عبية الجاهلية): الكبر والفخر بالآباء والأنساب، وما كان عليه أهل الجاهلية من التعاظم بالأصل والنسب، واحتقار غيرهم بغير حق.

(الجعلان): جمع جعل، وهو حشرة معروفة تدفع القاذورات والروث بأنفها، وضربها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مثلا في غاية الحقارة، تحقيرا لمن يفتخر بالأنساب والعصبية الجاهلية، وبيانا لسقوط قدره عند الله.

فيبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن الاسلام لم يصلح العصبية، بل أزالها من أصلها، وأسقط كل موازين الفخر، وجعل الناس على ميزانين لا ثالث لهما: تقوى أو فجور.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُه»(٢).

هذا الحديث أصل عظيم في إبطال كل دعوى تفاضل بالأنساب، إذ قرر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن النسب لا يرفع صاحبه عند الله إذا قصر عمله، ولا يعوض نقص التقوى، ولا يجبر خلل الدين.

فمن تأخر به عمله الصالح، وتثاقل عن طاعة الله، لم ينفعه انتسابه إلى قبيلة، ولا عائلة، ولا بيت، ولا اسم، لأن الميزان عند الله ميزان الأعمال لا

---

(١) رواه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٦)، وصححه الالباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ١١١)

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٢)

الأنساب.

وفي الحديث رد صريح على العصبية الجاهلية، إذ يقرر أن السرعة إلى الكرامة عند الله إنما تكون بالطاعة والعمل، لا بالوراثة والانتماء، وأن من ظن أن نسبه يشفع له مع تقصيره، فقد وقع في وهم جاهلي، وخالف هذا الأصل النبوي الجليل.

وفيه أيضا زجر لطيف لكنه بالغ، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم يقل: يضره نسبه، بل نفى عنه النفع، فدل على أن النسب في ذاته لا فضل فيه ولا مذمة، وإنما الشأن كله في العمل، وهذا من كمال عدل الشريعة.

وعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«إِنَّ أَنْسَابَكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِسِبَابٍ عَلَى أَحَدٍ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ وَلَدُ آدَمَ، طَفُّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلَئُوهُ، لَيْسَ لِأَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِالدِّينِ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ، حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فَاحِشًا بَذِيًّا، بَخِيلًا جَبَانًا»(١).

هذا الحديث من أوضح النصوص في إبطال العصبية الجاهلية، إذ نفى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن تكون الأنساب سببا للفضل أو مبررا للاحتقار، وقرر أن الناس جميعا مشتركون في أصل واحد، وهو آدم عليه السلام.

وفي قوله: **(طَفُّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلَئُوهُ)** تصوير بليغ لحقارة ما يتفاخر به الناس من الأنساب، وأنها شيء يسير لا وزن له، ولا يملأ ميزان الكرامة عند الله.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **(لَيْسَ لِأَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِالدِّينِ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ)**

(١) رواه أحمد (١٧٣٨٩)، وصححه الالباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ١٣٤).

قاعدة جامعة، تقطع كل دعوى تفاضل بغير ميزان الشرع، وتجعل التفاضل مرتبطا بما يحمله القلب ويترجمه العمل، لا بما يرثه الإنسان أو ينتسب إليه.

ثم ختم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الحديث ببيان أن حقيقة النقص والشر ليست في النسب، وإنما في الأخلاق الذميمة، كالفحش والبذاءة والبخل والجبن، ليقرر أن ميزان الشرف والوضاعة ميزان أخلاقي إيماني، لا اجتماعي ولا قبلي.

وفي الحديث رد صريح على كل صور العصبية المعاصرة، من الفخر بالقبيلة، أو المنطقة، أو العائلة، أو الطبقة، وبيان أن هذه كلها لا ترفع صاحبها عند الله، بل قد تكون سببا لهلاكه إذا صاحبها احتقار للخلق وتعاظم بالباطل.

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَنْ نَصَرَ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ، فَهُوَ كَالْبَعِيرِ الَّذِي رُدِّيَ، فَهُوَ يُنْزَعُ بِذَنَبِهِ»(١).

هذا الحديث من أبلغ ما ورد في تصوير قبح العصبية الجاهلية، إذ شبّه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من ينصر قومه على غير الحق بالبعير الذي يسقط في البئر، فيُجَرّ من ذَنَبِهِ، فيزداد ألما وعجزا، ولا يخرج من مهلكته.

✂ **ففي** هذا التشبيه بيان أن المتعصب:

✂ **يظن** أنه ينقذ قومه

---

(١) رواه أبو داود (٥١١٧)، وأحمد (١٧١٥٩)، وحسنه الالباني في «صحيح الجامع» (٦٢٧٦).

✂ **فإذا** به يزيدهم هلاكا

✂ **ويجر** نفسه وإياهم إلى المهالك

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **(عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ)** ضابط عظيم، يدل على أن مجرد النصرة ليست محرمة، وإنما المحرم نصرة الباطل، والدفاع عن الظلم، وتقديم الانتماء على العدل.

وفي الحديث رد على شبهة شائعة، وهي أن العصبية من باب الوفاء أو الشهامة، فبيّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنها في حقيقتها مهانة وضلال، تشبه حال البعير المهان العاجز، لا حال الشريف القوي.

وعن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ:

«وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: الْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَمَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قَيْدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُثَاءِ جَهَنَّمَ».

قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟.

قَالَ: **«وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَيَدَّعِي بِدَعْوَى اللهِ الَّتِي سَمَّاكُمْ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ عِبَادَ اللهِ»**(١)

هذا الحديث أصل عظيم في بيان خطورة العصبية الجاهلية، وربطها

(١) رواه الحاكم في «مستدركه» (٣/ ٢٨٧) وصححه الإمام الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١/ ٣٥٦).

المباشر بمفارقة الجماعة، وسلوك سبيل الجاهلية في الاجتماع والولاء.

فقد قرن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بين الأمر بالجماعة، والتحذير من الدعوات الجاهلية، مما يدل على أن العصبية تهدم الاجتماع، وتقطع ربقة الإسلام من جهة المعنى والمنهج، وإن بقي الاسم والشعائر.

وفي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **(فهو من جثاء جهنم)** أبلغ وعيد، إذ شبه أهل العصبية بالمتراكبين في النار، جزاء اجتماعهم في الدنيا على الباطل، وتفرقهم عن الحق.

وقوله: **(وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى)** يقطع شبهة عظيمة، وهي ظن بعض الناس أن كثرة العبادة تعصم صاحبها من الانحرافات العقدية والمنهجية، فبيّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن دعوى الجاهلية تفسد الدين، ولو مع وجود بعض مظاهر الصلاح الظاهر.

وفي الحديث رد صريح على كل عصبية معاصرة:

- **قبلية** كانت أو مناطقية
- **حزبية** أو فكرية
- **مذهبية** أو طبقية

فكل دعوة تفرق المسلمين، وتقدم الانتماء على الحق، فهي من دعوى الجاهلية، وصاحبها على خطر عظيم، وإن انتسب إلى الإسلام وأدى بعض شعائره.

وعَنْ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا يَا أَبَا ذَرٍّ: لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً.

فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَلَقِيتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ.

قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»(١)

مع أن المخاطب من خيرة الصحابة، إلا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنكر عليه ما بقي من أثر الجاهلية، فدل على أن العصبية قد تخفى، وأن الواجب اقتلاعها لا التهوين من شأنها.

فالحديث دلالة واضحة على أن العصبية الجاهلية قد تبقى في بعض النفوس خفية، ولو كانت نفوسا فاضلة، وأن الميزان في ذلك ليس فضل الشخص ولا سابقته، بل موافقة فعله لهدي الوحي.

فقد أنكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على أبي ذر مع جلالة قدره وسبقه، ووصف فعله بأنه من الجاهلية، لما تضمنه من تعيير بالأصل، واحتقار بسبب النسب، فدل ذلك على أن كل تعيير بالأمهات أو الأنساب أو الأعراق أو المناطق هو من بقايا الجاهلية المحرمة، مهما كان قائله، ومهما ظن أنه

(١) رواه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١)

قاله على سبيل المزاح أو الغضب.

وفي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «هُمْ إِخْوَانُكُمْ» تقرير لمبدأ الأخوة الإنسانية والإسلامية، وإبطال عملي لكل صور الإستعلاء الطبقي أو العرقي، إذ جعل من كان تحت اليد أخا لا متاعا، وربط التعامل معه بالعدل والإحسان، لا بالهوى ولا بالعرف الفاسد.

وفي الحديث بيان أن من أعظم علاج العصبية التواضع العملي، وكسر النفس عن التعالي، ومساواة الناس في المعاملة، لأن العصبية ليست مجرد قول، بل هي مرض قلب يظهر أثره في السلوك.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتح الباري لابن حجر» (١٠/ ٤٦٨): (إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ) التَّنْوِينُ لِلتَّقْلِيلِ وَالْجَاهِلِيَّةُ مَا كَانَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِهَا هُنَا الْجَهْلُ أَيْ إِنَّ فِيكَ جَهْلًا وَقَوْلُهُ قُلْتُ عَلَى سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ أَيْ هَلْ فِيَّ جَاهِلِيَّةٍ أَوْ جَهْلٍ وَأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ وَقَوْلُهُ (هُمْ إِخْوَانُكُمْ) أَيِ الْعَبِيدُ أَوِ الْخَدَمُ حَتَّى يَدْخُلَ مَنْ لَيْسَ فِي الرِّقِّ مِنْهُمْ وَقَرِينَةُ قَوْلِهِ (تَحْتَ أَيْدِيكُمْ) تُرْشِدُ إِلَيْهِ وَيُؤْخَذُ مِنْهُ الْمُبَالَغَةُ فِي ذَمِّ السَّبِّ وَاللَّعْنِ لِمَا فِيهِ مِنَ احْتِقَارِ الْمُسْلِمِ. اهـ

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَمِعْتُمُوهُ يَدْعُو بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيهِ، وَلَا تَكْنُوا»(١).

وفي رواية عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلا، قَالَ: يَا لَفُلانٍ، وَيَا

(١) رواه أحمد (٢١٢٣٢)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٧٤٥) وصححه الالباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (١/ ٥٣٧).

لَبَنِي فُلانٍ.

فَقَالَ لَهُ: اعْضَضْ بِهَنِ أَبِيكَ، وَلَمْ يُكْنِ.

فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، مَا كُنْتَ فَحَّاشًا.

فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ تَعزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيهِ وَلا تَكْنُوا»(١)

فهذا الحديث من أشد ما ورد في إنكار دعوى الجاهلية، وفيه بيان أن العصبية ليست مجرد لفظ عابر، بل باب فتنة وشر عظيم، يستوجب الزجر الغليظ.

وليس المراد الدعوة إلى الفحش لذاته، وإنما المقصود كسر تعاظم المتعصب، وإسقاط هيبة هذه الدعوى من النفوس، ومنعه من التمادي فيها، لأن مقام الدعوة إلى العصبية مقام خطر، لا يحتمل المجاملة ولا المداراة.

وقد بين أهل العلم أن هذا من الكلام الذي يراد به الزجر لا الإخبار، وهو استثناء لشدة الجرم، لا أصل في التخاطب بين المسلمين.

وفي تكرار هذا الزجر النبوي تأكيد على أن دعوى الجاهلية من أخطر أسباب تمزيق الجماعة، وأن الشريعة تقطع مادتها من أصلها، ولا ترضى بالتساهل معها، لما يترتب عليها من الفتن وسفك الدماء، وفساد القلوب.

وعن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ،

(١) رواه البغوي في «شرح السنة» (٣٥٤١) وصححه الإمام الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (١/ ٥٣٨).

وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ»، وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»(١).

عد الفخر والطعن من بقايا الجاهلية يدل على شدة تحريمهما، وأن بقاءهما علامة على ضعف الايمان.

فالحديث فيه بيان أن الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، من أمر الجاهلية الباقي في بعض الأمة، وأن مجرد انتساب الإنسان الى الإسلام لا يعصمه من الوقوع في هذه الأخلاق الذميمة، إذا لم يزك قلبه بالعلم والعمل.

وفي هذا تحذير بالغ من التساهل في ألفاظ الفخر، أو التنابز بالأنساب، أو التفاخر بالقبائل والمناطق، فإنها من جنس ما ذمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولو غير الناس أسماءها أو زخرفوا ألفاظها.

وخلاصة الأمر:

أن هذه النصوص تدل على أن العصبية الجاهلية ليست مجرد خطأ عارض، بل داء متجذر، لا يعالج إلا بالعلم، ومجاهدة النفس، والوقوف عند حدود الشرع، وأن من لم يقتلعها من قلبه ولسانه خيف عليه من فساد الدين، وضعف الإيمان، وسوء العاقبة.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٢/ ٥٨٧):

---

(١) رواه مسلم (٩٣٤).

والفخر في الأحساب؛ يعني: الافتخار بالآباء الكبراء والرؤساء، وقد قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -: «إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس كلّهم بنو آدم، وآدم خلق من تراب» والطعن في الأنساب: استحقارُها وعيبُها.اهـ

الفصل الثالث: العصبية سبب للهلاك وسوء العاقبة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ»(١)

هذا الحديث أصل في ذم التعالي واحتقار الخلق، لأن من لازم العصبية أن يرى المتعصب نفسه وأهله وطبقته خير الناس، ويزدري غيرهم، فيقع في هذا الوعيد.

فالحكم بهلاك الناس تعبير عن كبر خفي، واستعلاء قلبي، يجعل صاحبه أهلكهم عند الله، لأنه جمع بين احتقار الخلق، والعجب بالنفس، وسوء الظن بعباد الله.

فائدة: قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرحه على مسلم» (١٦/ ١٧٥):

وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّ هَذَا الذَّمّ إِنَّمَا هُوَ فِيمَنْ قَالَهُ عَلَى سَبِيل الْإِزْرَاء عَلَى النَّاس، وَاحْتِقَارهمْ، وَتَفْضِيل نَفْسه عَلَيْهِمْ، وَتَقْبِيح أَحْوَالهمْ، لِأَنَّهُ لَا يَعْلَم سِرّ الله فِي خَلْقه.

قَالُوا: فَأَمَّا مَنْ قَالَ ذَلِكَ تَحَزُّنًا لِمَا يَرَى فِي نَفْسه وَفِي النَّاس مِنْ النَّقْص

(١) رواه مسلم (٢٦٢٣).

فِي أَمْرِ الدِّينِ فَلَا بَأْسَ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ: لَا أَعْرِف مِنْ أُمَّة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَنَّهُمْ يُصَلُّونَ جَمِيعًا. اهـ

وعن عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»(١).

جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ التواضع سدا لباب الفخر والبغي، لأن العصبية لا تقوم إلا على الاستعلاء والظلم، فمتى تحقق التواضع في القلب انكسرت جذور العصبية، وسلم العبد من آفاتها في الدنيا والآخرة.

والعصبية صورة من صور الكبر، بل من أخطرها، لأنها كبر جماعي يتستر بالانتماء، فكان التحذير منها تحذيرا من سبب مانع من دخول الجنة ابتداء.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ، فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ، طِينَةِ الْخَبَالِ»(٢).

هذا المصير المهين يبين عاقبة من تعاظم على الخلق في الدنيا، ومنهم أهل العصبيات، إذ يجازون بضد قصدهم، فيذلون بعد استكبارهم، ويصغرون بعد تعاليهم.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٩٢)، وحسنه الالباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ١٠٧).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ»(١).

فهذا الحديث أصل عظيم في إبطال جميع موازين الجاهلية، إذ بيّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن محل نظر الله ليس الصورة، ولا الجسد، ولا النسب، ولا الاسم، وإنما القلب وما يحمله من تقوى أو فجور، والعمل الذي يترجم ذلك في الواقع.

فمن ظن أن له فضلا على غيره باسم، أو منطقة، أو قبيلة، أو نسب، فقد خالف هذا الأصل النبوي الجليل، ونازع الله في ميزانه الذي به يكرم ويهين، ويرفع ويضع، إذ جعل ما أسقطه الشرع سببا للتفاضل، وما اعتبره الشرع هو الميزان الحق عند الله تعالى.

فهذه النصوص المتضافرة تدل دلالة ظاهرة على أن العصبية الجاهلية ليست مجرد خطأ أخلاقي، بل سبب من أسباب الهلاك وسوء العاقبة، لما تشتمل عليه من كبر، واحتقار للخلق، وبغي، ومخالفة صريحة لهدي النبوة.

وأن السلامة منها لا تكون إلا بتزكية القلب، وتحقيق التواضع، والوقوف عند ميزان الشرع في الحكم على الناس، لا عند الاسماء والانتماءات.

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤).

الباب الثالث:
صور العصبية الجاهلية في الواقع المعاصر

العصبية الجاهلية لم تنقطع بانقطاع زمن الجاهلية الأولى، بل بقيت تتجدد في صور متعددة، وتظهر في مسميات مختلفة، تتغير ألفاظها وتبقى حقيقتها واحدة، وهي تقديم الانتماء والهوى على الحق والعدل.

وقد ابتليت المجتمعات المعاصرة بألوان من العصبيات القبلية والمناطقية والمذهبية والطبقية، حتى صارت سببا لاحتقار الناس، وتمزيق الصف، وإحياء أحقاد جاهلية تتنافى مع مقاصد الشريعة وأصول الأخوة الإيمانية.

ومن هنا كان من المهم بيان صور هذه العصبية في واقعنا المعاصر، والتحذير منها، وبيان خطرها وآثارها على الفرد والمجتمع.

الفصل الأول: العصبية القبلية والمناطقية

من أخطر صور العصبية الجاهلية في زماننا التعصب للقبيلة أو المنطقة أو الأصل، وجعل ذلك سببا لاحتقار الناس، أو السخرية منهم، أو الانتقاص من قدرهم، أو الحكم عليهم حكما عاما جائرا.

فيتنابز الناس بألقاب جاهلية، ويقسم المجتمع إلى شمالي وجنوبي، أو

بدوي وحضري، أو قروي ومدني، أو عال وسافل، قبيلي وقليل أصل وقنديل وزنبيل(١) أو غير ذلك من المسميات التي لا وزن لها في ميزان الشرع، ولا قيمة لها عند الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ﴾ [سورة الحجرات: ١١].

فجعل الله التنابز بالألقاب فسوقا، لما فيه من احتقار المسلمين، وإحياء أخلاق الجاهلية.

ولما تقدم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»(٢)

فدل الحديث على أن احتقار الناس شر عظيم، وهو ثمرة ظاهرة من ثمار العصبية الجاهلية، أيا كان لونها أو اسمها.

ولا فرق في ذلك بين من يحتقر الناس باسم القبيلة، أو باسم المنطقة، أو باسم النسب، فكل ذلك سواء في التحريم، لأنه يقوم على ميزان باطل، لا على حق ولا عدل.

فهذه الألقاب الجاهلية وإن اختلفت ألفاظها باختلاف البلدان، فإن حقيقتها واحدة، وهي احتقار الناس بغير ميزان الشرع.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا

---

(١) هذا المصطلح في اليمن ويمارس في أوساط الروافض فمن كان عندهم من آل البيت فهو قنديل ومن كان ليس كذلك فهو زنبيل.

(٢) تقدم تخريجه (ص:٢١).

﴿مِّنْهُمْ﴾ [سورة الحجرات: ١١].

وهذا النص يعم السخرية باللسان أو اللقب أو الإشارة، وهو أصل جامع في تحريم الاحتقار المناطقي والقبلي.

الفصل الثاني: العصبيّةُ الحزبيّةُ والمذهبيّةُ والفكريّة

من أخطر صور العصبيّة الجاهليّة في هذا الزمان: العصبيّةُ الحزبيّةُ والمذهبيّةُ والفكريّة، حين يتعصّب المرء لمذهبٍ، أو جماعةٍ، أو اتجاهٍ، أو اسمٍ معيّن، فيُقدِّم الانتماءَ على الحق، ويجعل الولاءَ والبراءَ تابعًا للشعار لا للدليل، فيُذمّ المخالف، ويُحتقر، ويُسقط اعتباره، لا لخطأٍ شرعيٍّ محقَّق، وإنما لمجرّد المخالفة أو عدم الانتساب.

وهذا المسلك مخالفٌ لمنهج أهل السنة والجماعة، الذين يُوالون على الحق، ويُعادون على الباطل، ويزنون الرجال بالحق، ولا يزنون الحق بالرجال، ويجعلون الاجتماع على الكتاب والسنة، بفهم سلف الأمة، لا على الاسماء والمسميات.

الأدلة الشرعية على تحريم الحزبية والعصبية الفكرية

الدليل الأول:

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [سورة المائدة: ٢]

وجه الدلالة: علّق الله التعاون بالبر والتقوى، لا بالانتماءات الحزبية، فكل تعاونٍ لا يقوم على الحق فهو تعاونٌ مذموم.

الدليل الثاني:

قال الله تعالى: ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الروم: ٣١-٣٢].

وجه الدلالة: ذمّ الله التفرّق في الدين، وجعل التحزّب إلى شيَع من صفات أهل الشرك، فدلّ على تحريم كل تفرّقٍ يُفضي إلى تمزيق الدين.

الدليل الثالث:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩]

وجه الدلالة: تبرّؤٌ صريح من أهل التفرّق الحزبي في الدين، وهو من أشدّ صيغ الزجر.

الدليل الرابع:

عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً».

قيل: مَن هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قال: «الْجَمَاعَةُ»(١).

وجه الدلالة: بيّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن الافتراق واقع، وأن النجاة في لزوم الجماعة، لا في التشيّع للأحزاب والفرق.

الدليل الخامس:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً».

قيل: من هي؟ قال:

«مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»(٢).

وجه الدلالة: جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ معيار النجاة الاتباعَ لما كان عليه هو وأصحابه، لا مجرد الانتساب أو الاسم.

الدليل السادس:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ فَلَيْسَ مِنَّا»(٣).

---

(١) رواه أبو داود (٤٥٩٧)، والترمذي (٢٦٤١)، وابن ماجه (٣٩٩٢)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود»، و«صحيح الترمذي»، و«السلسلة الصحيحة» (٢٠٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٤١)، وحسّنه، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

(٣) رواه أبو داود (٥١٢١)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود».

وجه الدلالة: نصٌّ صريح في تحريم كل دعوة تقوم على العصبية، ويدخل فيها العصبية الحزبية والفكرية بلا ريب.

الدليل السابع:

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «كُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»(١).

وجه الدلالة: أمرٌ بالأخوة الإيمانية العامة التي تناقض التحزّب الضيق والتنازع على المسميات.

خلاصة الفصل:

أن الحزبية المذهبية أو الفكرية التي تُقدِّم الانتماء على الدليل، وتُقيم الولاء والبراء على الاسماء، وتُفضي إلى التباغض والتفرق، هي من العصبية الجاهلية المحرّمة، وإن تزيّنت بشعاراتٍ دعوية أو إصلاحية.

وإنما المنهج الحق هو الاجتماع على الكتاب والسنة، بفهم السلف الصالح، مع العدل في الحكم على المخالف، وترك التبديع والتضليل بغير حق، وحفظ جماعة المسلمين من التمزق والاختلاف.

الفصل الثالث: العصبية الطبقية والمالية

ومن العصبيات الخفية التي قد يغفل عنها كثير من الناس العصبية بالمال، أو الجاه، أو المنصب، فيحتقر الغني الفقير، أو يحتقر صاحب الجاه

(١) رواه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٦٣).

من دونه، أو ينظر إلى الناس نظرة استعلاء.

وهذا من أخلاق الكبر الذي حرمه الله ورسوله.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الإسراء: ٣٧].

وتقدم حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ».

قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً.

قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»(١)

فبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن **(الكبر بطر الحق وغمط الناس)**.

و**(غمط الناس)** هو احتقارهم وازدراؤهم، وهو لب العصبية الجاهلية، وإن اختلفت صورها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ»(٢)

فالمال والجاه لا يرفعان قدرًا عند الله، وإنما الأخلاق والتواضع.

(١) رواه مسلم (٩٢).

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٦٥٥٠) وحسنه لغيره الإمام الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ١٣).

الباب الرابع:
المنهج الشرعي في اقتلاع العصبية الجاهلية وبناء الأخوة

لما كانت العصبية الجاهلية من أعظم أسباب فساد القلوب، وتمزيق المجتمعات، والانحراف عن منهج الوحي، لم يكتف الإسلام ببيان تحريمها وذمها، بل وضع منهجا متكاملا لاقتلاعها من جذورها، وبناء المجتمع على أسس العدل، والأخوة، والتواضع.

فجاء هذا الباب لبيان المنهج الشرعي العملي في معالجة العصبية، ابتداء بتصحيح المفاهيم، ثم بعلاج القلوب، وضبط الألسنة، وإصلاح الواقع الاجتماعي، حتى تستقيم النفوس، وتتوحد الكلمة، وتسلم الأمة من شرور الجاهلية القديمة والمتجددة.

الفصل الأول: الأخوة الايمانية أعظم رابطة بين الناس

جعل الله رابطة الايمان أعظم من كل رابطة، وأقوى من كل انتماء، فلا يجوز لمسلم أن يستهين بأخيه، أو يحتقره، أو ينتقصه، ما دام يجمعهما أصل الايمان.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٠].

فقرر الله الأخوة الايمانية تقريرا قاطعا، وجعلها أساس العلاقة بين

المؤمنين، لا تنقضها ألقاب، ولا تمزقها عصبيات.

وقال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

فأمر بالاجتماع على الدين، ونهى عن كل ما يؤدي إلى التفرق، والعصبية من أعظم أسبابه.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»(١)

دل الحديث على أن الاحتقار يناقض حقيقة الأخوة الإيمانية، وأن من استعلى على أخيه فقد نقض هذا الاصل العظيم، مهما كان مسوغه.

الفصل الثاني: فساد موازين الجاهلية في الحكم على الناس

اعتمد أهل الجاهلية في الحكم على الناس على موازين فاسدة، تقوم على الاسم، والنسب، والمنطقة، والقبيلة، فجعلوا هذه الامور معيارا للكرامة أو المهانة، والقبول أو الرفض.

وقد جاء الاسلام بإبطال هذه الموازين من أصلها، لما يترتب عليها من

(١) رواه مسلم (٢٥٦٥).

ظلم، وبغي، وتمييز بغير حق.

قال الله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة القلم: ٣٥-٣٦].

فأنكر الله هذا الحكم الجائر، وعده فسادا في الميزان والعقل.

وقال الله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة ص: ٢٨].

فبين سبحانه أن التفريق الصحيح يكون على أساس العمل والتقوى، لا على أساس الانتماءات.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»(١).

في الحديث بيان أن فساد الموازين في التعامل مع الناس سبب للهلاك، وأن التمييز بالاسم أو المكانة من جنس العصبية الجاهلية، وإن تغيرت صوره.

الفصل الثالث: علاج القلب من العصبية الجاهلية

أصل العصبية مرض في القلب، قبل أن يكون لفظا على اللسان، أو سلوكا في الواقع، ولهذا كان علاجها يبدأ من الداخل.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

ومن أعظم علاج القلب:

أولا: استحضار الوقوف بين يدي الله.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة الشعراء:٨٨-٨٩].

ثانيا: تذكر أن الله يحاسب على القلوب قبل الجوارح.

فعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»(١).

ثالثا: تذكر أن الكبر من أعظم المهلكات.

لما تقدم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ».

قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً.

قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»(٢)

رابعا: محاسبة النفس عند كل شعور تعال أو احتقار.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾﴾ [سورة النجم: ٣٢].

---

(١) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٢) رواه مسلم (٩٢).

خامسا: الاستشعار أن الميزان عند الله الأعمال الصالحة

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾ [سورة سبإ: ٣٧].

هذه الآية تقطع من أصلها كل وهم في التفاضل الدنيوي، وتقرر أن المال والولد، وهما أعظم ما يتفاخر به الناس، لا يقربان صاحبهما من الله شيئا، ما لم يقترنا بالإيمان والعمل الصالح.

فإذا كان المال والولد لا وزن لهما عند الله بغير تقوى، فمن باب أولى ألا يكون للنسب، ولا للقبيلة، ولا للمنطقة، ولا للمسميات الجاهلية أي قيمة في ميزان التفاضل.

وفي الآية رد صريح على كل من يربط الكرامة بالمكانة الاجتماعية، أو العائلة، أو الامتداد القبلي، دون نظر إلى صلاح القلب والعمل.

وقال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١ ﴾ [سورة المؤمنون: ١٠١].

تبين هذه الآية أن جميع الروابط الدنيوية، وعلى رأسها النسب، تسقط يوم القيامة، فلا تنفع قرابة، ولا يشفع لقب، ولا يغني انتساب.

فمن عقل هذا المشهد العظيم، استحيا أن يتعالى على الناس بنسب أو قبيلة، وهو يعلم أن هذا النسب نفسه ينقطع عند أول نفخة في الصور.

وفيها أعظم زاجر عن العصبية، إذ تذكر المتعصب بأن ما يتفاخر به اليوم سيكون عدما يوم الحساب.

سادسا: تذكر أن هذا النسب ينتهي التفاخر به بالموت ثم يكون حسرة على أصحابه يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٦٧].

هذه الآية تصور مآل العصبية القائمة على تعظيم الأشخاص، والسادة، والكبراء، وأباعهم بغير ميزان الشرع.

فالمتعصب لزعيم، أو شيخ، أو قبيلة، أو طبقة، قد يظن أنه يحتمي بهم، فإذا هو يوم القيامة يتبرأ منهم، ويلقي عليهم تبعة ضلاله.

وفي الآية تحذير شديد من تعطيل العقل والشرع باسم الطاعة الاجتماعية، أو الولاء الأعمى، وأن العصبية لا تنتهي إلا بالخذلان والندم.

الفصل الرابع: علاج اللسان وضبط الألفاظ

اللسان هو المترجم الأمين لما في القلب، وأكثر صور العصبية الجاهلية لا تبدأ بالسلاح ولا بالفعل، وإنما تبدأ بكلمة، أو لقب، أو مزاح فاسد، ثم تتوسع حتى تصير خصومة وبغضاء وقطيعة.

ولهذا جاء الشرع بالتشديد في باب اللسان، وجعل حفظه من أعظم اسباب السلامة من الفتن والآثام.

ومن اهم اسباب علاج اللسان:

أولا: التثبت قبل الكلام ومراقبة القول

قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة ق:١٨].

فكل لفظة تصدر من العبد محسوبة عليه، ومن استحضر هذا المعنى لم يطلق لسانه بالاحتقار ولا التنقص.

وقال الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [سورة البقرة: ٨٣].

فامر الله بحسن القول مع جميع الناس، فكيف بالمؤمنين، وكيف مع من تجمعه معهم الأخوة والإيمان.

ثانيا: تحريم السخرية واللمز بكل صورهما

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [سورة الحجرات: ١١].

فنهى الله عن السخرية، لأنها تقوم على احتقار الغير، وهو أصل العصبية الجاهلية.

وقال الله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾ [سورة الهمزة: ١].

والهمز واللمز يشملان كل طعن بالقول، أو اشارة، أو لقب، وهو من أعظم أبواب الأذى اللساني.

ثالثا: اجتناب الفحش وسوء الخطاب

فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْبَذِيءِ، وَلَا الْفَاحِشِ»(١).

فالفحش في القول ينافي الإيمان، والعصبية لا تقوم إلا على خطاب فاحش متعال متجبر.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - رَجُلٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -: «ائْذَنُوا لَهُ فَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ». أَوْ قَالَ: «أَخُو الْعَشِيرَةِ».

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ، فَلَمَّا خَرَجَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْتَ لَهُ الَّذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْقَوْلَ ؟

فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ - أَوْ قَالَ وَدَعَهُ النَّاسُ - اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»(٢).

رابعا: ترك التعريض بالناس والتلميح الجارح

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الإسراء:٣٦].

فالكلمة التي تطلق بغير علم، أو تعميم، أو تلميح جارح، داخلة في هذا الوعيد.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) رواه الترمذي (١٩٧٧)، وصححه الالباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (١/ ٦٣٤).

(٢) رواه البخاري (٦٠٣٢)، ومسلم (٢٥٩١).

«وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»(١).

خامسا: تعويد اللسان على الذكر بدل اللغو والاحتقار

قال الله تعالى: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [سورة الاحزاب: ٤١].

فاللسان إذا لم يشغل بالذكر شغل باللغو، وإذا لم يعمر بالخير عمر بالشر.

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟»(٢).

فهذا الباب يدل دلالة واضحة على أن ضبط اللسان من أعظم أسباب اقتلاع العصبية الجاهلية، وأن أكثر صورها المعاصرة إنما تعيش بالكلمات، والألقاب، والتعليقات، والمزاح الفاسد.

ومن حفظ لسانه سلم قلبه، ومن أطلقه في الناس بغير حق وقع في الجاهلية وهو لا يشعر.

الفصل الخامس: علاج العصبية الجاهلية على مستوى المجتمع

العصبية الجاهلية لا تنشأ في فراغ، ولا تستفحل إلا في بيئة تسكت عنها، أو تبررها، أو تورثها جيلا بعد جيل.

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وصححه الالباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٨٩).

ولهذا لم يقتصر علاج الشريعة على تزكية الفرد وحده، بل جاءت بمنهج شامل لإصلاح المجتمع كله، حتى لا تتحول العصبية إلى ثقافة عامة، أو عرف اجتماعي مقبول.

ومن أهم معالم العلاج المجتمعي ما يأتي:

أولا: قيام العلماء ببيان الحكم الشرعي وعدم كتمانه

فمن أعظم أسباب انتشار العصبيات سكوت أهل العلم، أو إجمالهم في البيان، أو تمييع الحكم الشرعي.

والواجب على العلماء بيان تحريم العصبية بوضوح، وفضح مسمياتها القديمة والحديثة، وربط الناس بالميزان الشرعي لا بالأعراف الفاسدة.

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٧].

فالبيان أمانة، وكتمه سبب لانتشار الباطل.

ثانيا: دور الخطباء والدعاة في كشف العصبيات المعاصرة

الخطيب والداعية صاحب أثر مباشر في توجيه المجتمع، ومن واجبه التحذير من العصبيات بأسمائها الواقعية، لا بالأوصاف المجردة.

قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [سورة النحل: ١٢٥].

فالحكمة تقتضي تسمية الداء باسمه، والتنبيه على خطره، وربطه بالنصوص الشرعية، لا تركه حتى يستفحل.

وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»(١).

فالتساهل في العصبيات، أو السكوت عنها، أو تزيينها باسم المزاح أو العادة، من فتح باب سنة سيئة في المجتمع.

ثالثا: تربية الأبناء على ميزان الشرع لا ميزان الأسماء

الأسرة هي الحاضنة الأولى للعصبية، فإن زرعت في البيت انتقلت إلى المجتمع.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [سورة التحريم:٦].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ، وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ، وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(٢).

---

(١) رواه مسلم (١٠١٧).

(٢) رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

وتربية الأبناء على احترام الناس، وترك الألقاب، وربط التفاضل بالأخلاق والعمل، من أعظم أسباب قطع جذور العصبية قبل نموها.

رابعا: عدم السكوت على التنابز والاحتقار في المجالس

السكوت عن العصبية إقرار لها، والإقرار يوسعها حتى تصير عرفا.

قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [سورة المائدة:٧٨-٧٩].

فترك الإنكار سبب للعنة، فكيف إذا كان المنكر يهدد وحدة المجتمع.

وقال الله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾ [سورة آل عمران:١١٠].

خامسا: تصحيح الأعراف الاجتماعية ومواجهة التقاليد الفاسدة

كثير من العصبيات تتخفى خلف اسم العادة والتقاليد.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ [سورة البقرة: ١٧٠].

فالشرع لا يقر عرفا يخالف العدل، ولا عادة تقوم على الإحتقار والتنابز.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(١)

سادسا: تصحيح مفهوم تعلم النسب أنه لصلة الرحم

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثَرِ»(٢).

هذا الحديث يبين المنهج الشرعي المتوازن في التعامل مع الأنساب، إذ لم ينه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن معرفتها مطلقا، وإنما أمر بتعلم القدر الذي تتحقق به صلة الرحم، لا ما يفضي إلى الفخر والتعاظم والاحتقار.

فمعرفة النسب هنا وسيلة شرعية، لا غاية جاهلية، والغرض منها أداء حق الرحم، وتحقيق التواصل، لا الاستعلاء ولا التفاخر.

وفي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثَرِ)

بيان لآثار صلة الرحم في الدنيا، من الألفة، وسعة الرزق، وبقاء الذكر الحسن، وليس في الحديث أي دلالة على فضل ذاتي للنسب، وإنما الفضل مترتب على العمل، وهو صلة الرحم.

فالحديث في حقيقته دليل على نفي العصبية لا إثباتها، لأنه قيد النسب بالعمل الصالح، وجعل قيمته في أثره العملي، لا في ذاته.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) رواه الترمذي (١٩٧٩)، وحسنه، وصححه الالباني في «صحيح الجامع» (٢٩٥٤).

والخلاصة:

أن العصبية الجاهلية لا تعالج بالصمت، ولا بالمجاملات، ولا بتبديل الألفاظ، بل تعالج ببيان صريح، وتربية واعية، وإنكار حكيم، وتصحيح مستمر للأعراف.

وإذا صلح المجتمع في ميزانه، خفت العصبيات، وسلمت القلوب، واجتمعت الكلمة، وظهرت بركة الأخوة الإيمانية.

وأما السكوت عن العصبية فإنه يوسعها، ومعالجتها في بدايتها أيسر من تركها حتى تستفحل، وقد جعل الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سياجا يحفظ المجتمع من هذه الآفات.

الفصل السادس: آثارُ الكلمةِ العُنصريّةِ في تفكيكِ المجتمعِ وإثارةِ الفِتَن

إنّ الكلمة العنصريّة ليست مجرّد لفظٍ عابر، ولا مزحةٍ عارضة، بل هي سلاحٌ خطيرٌ يضرب في صميم وحدة المجتمع، ويُحيي أمراض الجاهليّة، ويُثير الأحقاد، ويزرع الشقاق بين أبناء الدين الواحد، وقد عظّم الشرع شأن الكلمة، وجعل لها أثرًا بالغًا في الصلاح والفساد.

أولا: الكلمةُ العنصريّةُ سببٌ لإحياءِ الجاهليّة

الكلمات التي تقوم على التحقير بالاسم، أو المنطقة، أو القبيلة، أو النسب، هي من جنس دعوى الجاهليّة التي أبطلها الإسلام، وأمر بوأدها.

وتقدم حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ.

فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ.

وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ.

فَسَمِعَ ذَاكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى جَاهِلِيَّةٍ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ.

فَقَالَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ».

فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَا وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ».

وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ. (١)

وجه الدلالة: وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مجرد النداء بشعار الجاهلية بأنه منتن، فكيف بالكلمة العنصرية التي يُقصد بها الاحتقار والإهانة.

ثانيًا: الكلمةُ العنصريّةُ سببٌ في تمزيق الأخوّة الإيمانيّة

الأخوّة في الإسلام قائمة على الإيمان، لا على الأرض ولا الدم ولا اللهجة، والكلمة العنصريّة تُهدم هذه الرابطة، وتُبدّلها بروابط جاهليّة زائفة.

(١) رواه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٦).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٠]

وجه الدلالة: حصر الله الأخوّة الحقيقية في الإيمان، فمن استبدلها بالتحقير المناطقي أو القبلي فقد ناقض هذا الأصل.

ثالثًا: الكلمةُ العنصريّةُ تُشعل العداوةَ والبغضاء

الكلمة الجارحة تُراكم في النفوس الضغائن، وتفتح أبواب الخصومة، وربما قادت إلى التقاتل والتفجّر الاجتماعي.

قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [سورة الإسراء: ٥٣]

وجه الدلالة: بيّن الله أن الكلمة السيئة مدخل من مداخل الشيطان لإشعال النزاع بين الناس.

رابعًا: الكلمةُ العنصريّةُ تُسقِطُ المروءةَ وتُفسدُ الأخلاق

إطلاق الألفاظ العنصرية دليل على ضعف الدين، وسوء الخلق، وقلة المروءة، وهو منافٍ لكمال الإيمان.

فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ»(١).

وجه الدلالة: الكلمة العنصرية داخلة في الطعن والبذاءة، وهي منافية لوصف المؤمن الكامل.

---

(١) رواه الترمذي (١٩٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

خامساً: الكلمةُ العنصريّةُ بابٌ للفتنة العامّة

إذا انتشرت الألفاظ العنصرية بين الناس، تحوّلت من إساءة فردية إلى فتنة اجتماعية، يصعب احتواؤها، ويعظم ضررها.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾ [سورة الأنفال: ٢٥]

وجه الدلالة: دلّت الآية على أن الفتن إذا اشتعلت عمّت، والكلمة العنصرية من أعظم أسباب إشعالها.

خلاصة الفصل:

أن الكلمة العنصرية ليست هينةً في ميزان الشرع، بل هي من دعوى الجاهلية، وسببٌ في تمزيق الأخوّة، وإثارة العداوة، وإشعال الفتن، وإفساد القلوب والمجتمعات، وأن الواجب على المسلم أن يضبط لسانه، ويزن كلماته بميزان الشرع، وأن يعلم أن كلمةً واحدة قد تهدم ما لا تهدمه السيوف.

الباب الخامس: الخطاب في النصح والجواب

تمهيد

يضمّ هذا الباب طائفةً من الرسائل والمنشورات التي كُتبتها في أوقاتٍ متباينة، ونُشرتها تباعًا عبر وسائل التواصل، بحسب ما اقتضته الأحوال، ودعت إليه الحاجة، وقد اختلفت موضوعاتها بين نصحٍ عام، وتوجيهٍ شرعي، وتعقيبٍ على أخطاء واقعة، أو ردٍّ على شبهاتٍ طارئة، كُتبت كلُّها ابتداءً بقصد البيان، وأداء حق النصح، والسعي في دفع الفتنة ما أمكن.

ولم يُقصد بجمع هذه النصوص إنشاءَ تأليفٍ مستقل، ولا تتبُّعَ الأقوال، ولا خوضَ جدلٍ أو مناظرة، وإنما جُمعت على وجه الجمع والتوثيق، لإبراز ما كُتب في سياقه، وبيان المنهج الشرعي في معالجة هذه النوازل عند وقوعها، لما في ذلك من نفعٍ ظاهر، ولا سيما فيما يتصل بشؤونٍ عامةٍ تمسّ وحدة الصف، وسلامة الصدور، واجتماع الكلمة.

وما يأتي بعد هذا التمهيد فهو نصوص أُثبتت كما خرجت في حينها، أُبقيت على صورتها الأولى، قصدًا للنفع والاعتبار، والتنبيه على مسالك ثبت ضررها، مع تحرّي الإصلاح، ولمّ الشعث، وإبراء الذمة، والله المستعان.

فصل:
المنشور الأول:

شمالي جنوبي.

أف لمن لايزال يعيش بعقلية الجاهلية فيقسم المسلمين شمالا وجنوبا وشرقا وغربا وقبائل ومناطق وكأن رابطة الإسلام لا وزن لها عنده. أيعقل ان يجمعنا الله على لا إله إلا الله ثم نفرق أنفسنا برايات جاهلية ما أنزل الله بها من سلطان؟

قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ»(١).

فكل من يثير هذه النعرات ويشعل نار المناطقية ويغذي الاحقاد بين

(١) رواه أبو داود في «سننه» (٥١٢١).

المســلمين فهو شــريك في الإفســاد وخادم لخطط أعداء الأمة وإن زعم الإصــلاح فالواجب ترك هذه المســميات ودفنها والتحذير منها والاعتزاز بالإسلام وحده فمن لم تكفه أخوة الدين فلن تجمعه كل الارض.

فصل:
المنشور الثاني:

وأسوء ما تكون العنصرية من صالح

وأسوء ما تكون العنصرية إذا خرجت من شخص صالح في الظاهر ينتسب إلى الخير أو الدعوة أو الالتزام فيكون ضررها أعظم وأثرها أشد لأن الناس تغتر به وتظن أن ما يقوله حق وهو في حقيقته يحيي جاهلية.

فالإسلام جاء ليجمع لا ليفرق وليوحد لا ليقسم وجعل رابطة الإيمان فوق كل رابطة ونزع من القلوب ميزان التفاضل بالأرض والاسم والنسب ومن المؤلم أن ترى من ينتسب إلى الصلاح يردد شمالي وجنوبي أو مناطقي وقبلي فيمزق الصف وهو لا يشعر أنه يخدم أعداء الأمة فالواجب على من أراد النجاة أن يخلع ثوب الجاهلية وأن يكون ولاؤه لله ولدينه وأن يحذر من فساد القلوب قبل فساد الألسنة.

فصل:
المنشور الثالث:

أولا: أف للعنصرية الجاهلية حين تلبس ثوب الصلاح.

أف للعنصرية الجاهلية إذا خرجت من شخص يظهر الصلاح وينتسب إلى الخير فيغتر به الناس ويحسبون قوله حقا وهو في حقيقته يحيي جاهلية هدمها الإسلام فإن خطرها إذا صدرت من صالح أعظم وأشد لأنها تلبس على العامة وتفسد القلوب باسم الدين والإسلام بريء من كل دعوة تفرق المسلمين أو تحيي العصبية أو تزرع البغضاء بينهم فقد جعل الله ميزان التفاضل التقوى لا الاسم ولا النسب ولا الجهة

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [سورة الحجرات:١٣].

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ»(١)

فمن سوغ العصبية فقد خالف الوحي وإن حسنت نيته أو كثر أتباعه.

---

(١) تقدم تخريجه (ص:١٧).

ثانيا: العصبية الجاهلية سلاح أعداء الأمة.

ما ضرب أعداء الإسلام الأمة بسلاح أنجح من سلاح التفرقة والعصبية لأنها تمزق الصف من داخله وتكسر القوة دون حرب ظاهرة فكل دعوة مناطقية أو قبلية أو حزبية تحيي العصبية إنما تصب في خدمة أعداء الأمة شاء صاحبها أم أبى، وقد حذر الشرع من ذلك أشد التحذير لأن الاجتماع قوة والتفرق هلاك.

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ»(١).

فمن أعاد رايات الجاهلية فقد أعان على إضعاف المسلمين ولو زعم الدفاع عنهم.

ثالثا: لا شمالي ولا جنوبي نحن أمة واحدة.

جمع الله المسلمين على الإسلام، ووحدهم بالتوحيد، فلا يجوز أن تفرقهم أسماء الجهات، ولا المسميات الأرضية، فمن قال شمالي أو جنوبي

(١) رواه أبو داود في «سننه» (٥١٢١).

على وجه العصبية، فقد خالف مقصد الشريعة في وحدة الأمة، وجعل ولاءه لغير ما أمر الله به، فالأمة أمة واحدة، وربها واحد، وكتابها واحد، وكل تقسيم يورث بغضاء أو احتقارا فهو من دعوى الجاهلية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٩٢].

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا. وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ»(١)

رابعا: الجاهلية الجديدة أخطر من القديمة

الجاهلية القديمة كانت ظاهرة معلومة، أما جاهلية اليوم فهي أخطر؛ لأنها تتزين بالشعارات، وتخرج باسم الغيرة، أو الإصلاح، فتضل وتضل وهي عند الله جاهلية كاملة، فكل فكر أو دعوة تخالف هدي الوحي، وتحيي العصبية، وتقدم الهوى على الشرع، فهي جاهلية، وإن تغير اسمها أو زخرفت عباراتها.

قال الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة المائدة: ٥٠].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ».

---

(١) رواه البخاري (٤٨١) ومسلم (٢٥٨٥).

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟

قَالَ: «فَمَنْ»(١).

خامسا: حين تفرقنا الأسماء وتجمعنا الشهادتان

من أعجب العجب أن تجمعنا الشهادتان، وتفرقنا الأسماء والمسميات، مع أن الله جعل رابطة الإيمان فوق كل رابطة، وأمر بالاعتصام بها، فمن قدم اسما، أو جهة، أو نسبا، على أخوة الإسلام، فقد قلب الميزان، وفتح باب الفتنة والتنازع.

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»(٢)

---

(١) رواه البخاري (٧٣٢٠).

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٥).

خامسا: وأسوء ما تكون العنصرية من صالح

وأسوء ما تكون العنصرية؛ إذا خرجت من شخص صالح في الظاهر ينتسب إلى الخير، أو الدعوة، أو الالتزام؛ فيكون ضررها أعظم، وأثرها أشد؛ لأن الناس تغتر به، وتظن أن ما يقوله حق، وهو في حقيقته يحيي جاهلية، فالإسلام جاء ليجمع لا ليفرق، وليوحد لا ليقسم، وجعل رابطة الإيمان فوق كل رابطة، ونزع من القلوب ميزان التفاضل بالأرض والاسم والنسب.

ومن المؤلم أن ترى من ينتسب إلى الصلاح، يردد شمالي وجنوبي، أو مناطقي، وقبلي، فيمزق الصف، وهو لا يشعر أنه يخدم أعداء الأمة، فالواجب على من أراد النجاة، أن يخلع ثوب الجاهلية، وأن يكون ولاؤه لله ولدينه، وأن يحذر من فساد القلوب قبل فساد الألسنة.

فصل:
المنشور الرابع:

أولا: العصبية مقياس الجهل ولو خرجت من صالح

العصبية لا تدل على غيرة ولا على نصرة للحق بل هي مقياس جهل وحمية فاسدة ولو خرجت من شخص صالح أو متعبد فليس كل من عبد الله أصاب الحق في كل قول والعمل يوزن بالشرع لا بالأشخاص ومن دافع عن عصبية أو انتصر لها فقد شابه أهل الجاهلية وإن حسن قصده لأن الحق لا يعرف بالرجال

قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [سورة ص:٢٦].

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَمِعْتُمُوهُ يَدْعُو بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيهِ، وَلَا تَكْنُوا»(١).

(١) رواه أحمد (٢١٢٣٢)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٧٤٥) وصححه الالباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (١/ ٥٣٧).

ثانيا: الإسلام يهدم العنصرية ويقيم الأخوة.

جاء الإسلام ليهدم كل أشكال العنصرية، والطبقية، والتمييز، ويقيم مكانها أخوة الإيمان، فجمع العربي، والأعجمي، والأبيض، والأسود، تحت راية واحدة، فمن أعاد ميزان التفاضل بالأرض، أو النسب، فقد ناقض مقصود الشريعة، وسعى في هدم ما بناه الوحي.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحجرات: ١٠].

وجاء عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟»

قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. (١)

ثالثا: دعوها فإنها منتنة.

هذه كلمة نبوية جامعة، تختصر الموقف من كل دعوة عصبية، مهما تغير اسمها، أو تلونت شعاراتها، فكل نداء يفرق المسلمين، ويحيي الجاهلية،

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢٢٩٧٧)، وصححه الإمام الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ١٣٥)، والإمام الوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٢/ ٤٥٥).

فهو منتن خبيث، يجب طرحه، والتحذير منه؛ لأن بقاءه يفسد القلوب، ويمزق الصف، ويجلب سخط الله.

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ»(١)

فلا كرامة لدعوة حكم عليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالنتن.

رابعا: رايات الجاهلية لا تجمع أمة.

لا تجتمع الأمة برايات القبيلة، ولا المنطقة، ولا الحزب، وإنما تجتمع براية التوحيد، وكل راية ترفع على غير ذلك، فهي راية جاهلية، تفرق ولا تجمع، وتورث العداوة والبغضاء، وإن زعم أصحابها النصرة.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [سورة آل عمران: ٨٥].

وجاء عن جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»(٢).

خامسا: من لم تكفه أخوة الإسلام فلن تجمعه الأرض.

من لم تكفه أخوة الإيمان؛ فلن تجمعه أرض، ولا وطن؛ لأن الذي جمع القلوب هو الله لا التراب، فمن ضاق صدره بأخوة الدين، فلن يتسع له أي

(١) تقدم تخريجه (ص: ١٧).

(٢) رواه مسلم (١٨٥٢).

رابط آخر، والخلل في قلبه لا في غيره.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحجرات: ١٠].

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(١).

سادسا: دعوها فإنها منتنة (إلى أصحاب شمالي جنوبي)

كلمة نبوية جامعة، تختصر الموقف الشرعي الواضح، من كل دعوة عصبية، مهما تغير اسمها، أو تلونت شعاراتها، فالعبرة بالحقائق لا بالأسماء.

فكل نداء يفرق المسلمين، ويحيي عصبيات الجاهلية، كمن يحيي شمالي جنوبي، أو قبلي حزبي طائفي، فهو نداء خبيث منتن، يجب طرحه والتحذير منه، لأن بقاءه يفسد القلوب ويمزق الصف، ويزرع العداوة والبغضاء، ويصرف الناس عن رابطة الإيمان الجامعة، ويجلب سخط الله قبل عقوبته، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما سمع دعوى العصبية قال محذرا: قال: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ»(٢)

فحكم عليها بالنتن، ولا كرامة، ولا شرف، ولا خير، في دعوة وصفها رسول الله، بهذا الوصف القاطع، مهما تجملت، أو رفعت من شعارات.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٦)

(٢) تقدم تخريجه (ص:١٧).

فصل:
المنشور الخامس:

الاحتقار ظلم فاحذر من (شمالي دحباشي)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»(١)

فهذا ميزان نبوي قاطع، يبين خطورة الاستعلاء، والسخرية، من المسلمين، فليس الشر محصورا في الكبائر الظاهرة، بل قد يبلغ المرء غاية الشر، وهو يحتقر أخاه المؤمن، فمن يلمزه بقوله شمالي دحباشي، أو يسخر من لهجته، أو من منطقته، فقد جمع بين الأذى والإثم وفساد القلب، وربما كان الذي يستهزئ به من خير الناس عند الله، وأقربهم منزلة، وأنقى سريرة، وأصدق إيمانا، وأنت تهزأ به وتحتقره.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٥).

وقد قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [سورة الحجرات:١١].

فاحذر هذا المسلك النتن، فإنه يهدم الأخوة، ويمزق الصف، ويزرع العداوة، ويجر صاحبه إلى الشر العظيم ولا محالة.

فصل:
المنشور السادس:

تأدب بشرع الله يا محتقر عباد الله (شمالي دحباشي)

اتق الله واخش مقامه، ولا تجعل لسانك سيفا على عباد الله، فإن هذا القول نابع من كبر جاهلي، واستعلاء ممقوت، يهدم أخوة الدين، قبل أن يهين الناس.

وجاء عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟»

قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. (١)

فمن نطق بغير هذا الميزان، فقد رد حكم النبوة، ونازع شرع الله في عدله، وجعل الجهة والاسم سببا للإنتقاص، وهذا جهل، وفساد قلب، وسوء أدب

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢٢٩٧٧)، وصححه الإمام الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ١٣٥)، والإمام الوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٢/ ٤٥٥).

مع دين الله، الذي أمر بالترابط، والمحبة، والأخوة، والتعايش بسلام بين المسلمين.

فاعرف قدرك، وأمسك لسانك، وإلا كنت ممن يحمل وزر الإحتقار، ويقف به يوم القيامة موقف الخاسرين.

فيا أيها العنصري لست بشيء، حتى تراجع أخلاقك وتزنها بميزان الحق.

فصل:
المنشور السابع:

سلفي عنصري (على مبدأ شمالي دحباشي) هذه مصيبة

فالسلفي الحق، يعرف قدر هذا المنهج، ويصونه عن دنس الجاهلية، فلا يحمل في قلبه احتقارا، لا لشمالي، ولا لجنوبي، ولا ينطق بلسان استعلاء، ولا يتلون بعصبية، مهما رأى من أسباب، أو اختلافات؛ لأن السلفية عبودية، واتباع لا هوى، ولا انتقاء.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»(١)

فجعل الاحتقار خيانة للأخوة، فكيف ينتسب إلى السلف من يناقض هذا الأصل بقوله، أو حاله، أو نظرته للناس، فالسلفي الصادق، يحذر من

(١) رواه مسلم (٢٥٦٥).

العنصرية في نفسه قبل غيره، ويبرأ منها علما وعملا، ويعلم أن هذا المنهج لا يجتمع مع كبر، ولا ازدراء، ولا تقسيم للناس على جهة، أو اسم، أو نسب، فمن تلبس بهذا فقد أساء الفهم، وخرج عن روح السلف، وإن تسمى باسمهم.

فصل:
المنشور الثامن:

ظلم أن ينسب الشرفاء والصلحاء من أبناء الشمال إلى فاسق يسمى (دحباش).

إنه لظلم بين، واعتداء أن تنسب أخطاء فاسق، أو انحرافاته إلى الشرفاء، والصلحاء، من أبناء الشمال، فيحمل قوم كرام وزر رجل، لا يمثلهم دينا، ولا خلقا، ولا مروءة، وهذا مسلك جاهلي، قائم على التعميم الجائر، ومصادمة العدل والإنصاف، فالشمال كغيره، مليء بالأخيار، وأهل الدين والاستقامة، والعلم والفضل، ممن عرفوا بصحة العقيدة، وسلامة المنهج، وحسن السيرة، والنصرة لدين الله، فاختزال هؤلاء في اسم فاسق، أو ربطهم بلقب ساقط، عدوان على الحق والحقيقة، ومخالفة صريحة، لقول الله: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٦٤].

فمن فعل ذلك فقد ظلم وأساء ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ [سورة طه: ١١١].

فصل:
المنشور التاسع:

دحباشي شمالي.

إطلاق هذا الوصف على الشمال وأهله، عدوان ظاهر، ولا يقوم على عدل؛ لأنه يبني حكما عاما على اسم شخص ساقط، لا يمثلهم دينا، ولا أخلاقا، ولا تاريخا، ومن الظلم أن تتحول الأوطان إلى تهم، وأن يصنف الناس بألقاب مهينة، فالشمال فيه أهل إيمان، وأهل أمانة، وأهل علم، وفيه من عرف بالصدق، والغيرة، وحفظ الدين، ونصر السنة، والكرم، والنخوة، والنجدة، والشرف، والعفة، والرجولة، والتربية الحميدة، فإلصاق هذا اللقب بهم، أذى محرم وبهتان بين.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [سورة الحجرات: ١١].

فكل من ردد هذا الوصف، فقد شارك في الإثم، وأسهم في نشر البغي، ولو زعم أنه صاحب قضية عادلة، فأين عدله حتى مع من يبغضه.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا

يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ [سورة المائدة:٨].

فصل:
المنشور العاشر:

وصية لكل سلفي طالب علم وشيخ

أن يجعل من واجباته الدعوية توعية أقوامه، والتحذير الصـــريح من داء العنصـــرية، وأن يكثر من بيان خطرها في بلاده، ومجتمعه؛ لأنها من بقايا الجاهلية، التي تهدم الدين، وتفسـد القلوب، وتمزق الصـف، وإن السـكوت عنها، أو التهاون فيها، خذلان للحق، ومشـاركة غير مباشـرة في نشـر البغي، فعلى أهل العلم، والدعوة، أن يكونوا قدوة في العدل، والانصـاف، وأن يربوا الناس على ميزان الشرع، لا ميزان المناطق، ولا الأسماء، ولا الأنساب، وأن يقرروا أن التفاضل بالتقوى لا بالجهة، ولا بالانتماء، فمن قام بهذا فقد نصح لله، ولرسوله، وللمؤمنين، ومن تركه فقد فرط في أمانة عظيمة.

فصل:
المنشور الحادي عشر:

شهادة لله ثم للتاريخ

ما أعرفه والله، ومنذ عرفت الحياة، والخلطة بالناس، أنني لم أشهد يوما، طوال أيامي في الشمال، إهانة إنسان؛ لكونه جنوبيا، ولا سمعت أن إنسانا استحقر، أو أسيء إليه، بلفظ يا جنوبي على وجه الازدراء، بل كنت أجد كل من حولي، وكل من التقيت بهم، يجلون أي شخص من الجنوب، ويحترمونه لدينه، وخلقه، وشخصه، ولم أسمع قط بشيء، يسمى عنصرية شمالي جنوبي إلا بعدما عشت في بعض مناطق الجنوب، وقد يكون السؤال يقع على وجه الإخبار، والتعرف لا العنصرية، «أمن الجنوب أنت» وسألت كبار السن هل وجد هذا، فكان جوابهم واحدا متقاربا «لم يكن هذا قط» فاتقوا الله في إخوانكم، فنحن كالجسد الواحد، لا تفرقنا العنصرية، ويجب أن يجمعنا الحب في الله.

فصل:
المنشور الثاني عشر:

نداء عاجل لأحبتنا الشباب سواء في الشمال أو الجنوب.

يا أحبتنا الشباب، اتقوا الله في أنفسكم، وفي مجتمعكم، واحذروا من العنصرية؛ فإنها داء خطير، يفسد القلوب، ويمزق الصفوف، ويزرع البغضاء بين الإخوة.

لا تجعلوا الأسماء، والجهات، سببا للفرقة، ولا وسيلة للاحتقار، فالناس يتفاضلون بالخلق، والدين، والعمل، لا بالمناطق، ولا بالانتماءات.

إننا أبناء وطن واحد، ودين واحد، يجمعنا الحب في الله، ويشد بعضنا بعضا، كالجسد الواحد.

وإذا كان هذا الأمر، قد وقع من بعض أجدادنا، في أزمنة سابقة، فنحن اليوم في زمن التفقه والعلم، ولابد أن نعرف الحقائق، ونقرأ في أدلة الشرع، التي تنهى عن ذلك، وتأمر بالترابط.

في الحديث أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا. وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ»(١)

(١) رواه البخاري (٤٨١) ومسلم (٢٥٨٥).

فلابد أن تكون عندنا توعية أخلاقية، فانشـــروا روح الاحترام والتراحم، وكونوا جســـرا للمحبة، لا أداة للفتنة، فبكم بإذن الله تعلو الأوطان، وبكم تســـلم القلوب، وبكم بإذن الله تكمن القوة لمواجهة أعداء الدين، الذين يترصدون للجميع، دون فرق بين شمالي أو جنوبي.

فصل:
المنشور الثالث عشر:

ثناء وشكر على كلمة الشيخ أبي بلال الحضرمي في نبذ عنصرية شمالي جنوبي وتضمن هذا المنشور رد على شبهة مثارة؟!

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد وصلني مقطع صوتي مسجل للشيخ الحبيب الفاضل المبارك، لأسد من أسود السنة، ومن قامعي البدع، أبي بلال الحضرمي، هزبر دار الحديث في الحامي، كلمة صادقة قوية، خرجت من قلب ناصح غيور على دينه، ودعوته، وأمته، كلمة في وقت الحاجة، وعند اشتداد الفتنة الحاصلة، عجز عن الصدع بها الكثير، فكانت بإذن الله بلسما للصدور، وبيانا للحق، وصرخة مدوية في وجه داء خبيث، طالما مزق الصفوف، وأوقد نيران العداوة بين الأحبة.

لقد اشتملت كلمة الشيخ أبي بلال -حفظه الله- على موقف شجاع،

صرخ فيه محذرا أهل اليمن من داء العنصرية المنتنة، وعنصرية شمالي وجنوبي، ومن دعوات الانفصال والتمزيق، التي لا يريد بها أصحابها إلا هدم الأخوة، ونشر الكراهة، وضرب الدعوة، وتشتيت أهل السنة، وهي دعوات جاهلية بغيضة يبرأ منها الإسلام وأهله.

ولقد فرح بهذه الكلمة كل سلفي يكره داء العنصرية المنتنة، وكل محب للسنة، وكل غيور على وحدة الصف، لما وجد فيها من صدق النصيحة، وقوة البيان، ووضوح المنهج، والقيام بالواجب الشرعي، في وقت قد يضعف فيه بعض الناس عن الصدع بالحق.

وقد جاءت ادلة الشرع المتظافرة بتحريم العصبية والتفرق.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحجرات: ١٠].

وقال سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

وغيرها كثير.

وثبت عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ»(١)

(١) تقدم تخريجه (ص: ١٧).

فكلمة الشيخ أبي بلال جاءت موافقة للكتاب والسنة، وسائرة على منهج السلف الصالح، بعيدة عن المداهنة، واضحة في التحذير، قوية في الإنكار، جامعة لا مفرقة، مصلحة لا مهيجة.

وكما أن أهل السنة السلفيين قد ظهر موقفهم الواضح، وعلى قلب رجل واحد، في التحذير من الحوثي الرافضي، وعنصريته البغيضة، التي يرفع فيها من كان من آل البيت فيجعله قنديلا، ويحط من كان من غيرهم فيجعله زنبيلا، فقد كان والحمد لله لأهل السنة الدور الكبير، ولا يزال، في كشف هذه العنصرية الجاهلية، والتحذير منها، وبيان خطرها على الدين والدنيا.

وكذلك كان لهم الدور الكبير، والموقف الموحد، في التحذير من العباهلة الأقيال الضلال، الذين يدعون إلى عنصرية القومية العربية، ويبعثون دعاوى جاهلية بائدة، وقد وقف السلفيون موقفا واضحا في نبذ ذلك، والتحذير منه، وبيان فساده وخطره على الأمة.

فكذلك نتمنى، بل نطالب، أن يكون لأهل السنة في هذا الوقت الحساس، في أي مكان كانوا موقفا حازما، وكلمة صريحة، وتحذيرا واضحا، من عنصرية شمالي وجنوبي، ودعوات الانفصال والتمزيق، وأن يصدعوا بالحق في خطاباتهم، ومحاضراتهم، ومنشوراتهم، وأن يوعوا الناس من الانجرار خلف الدعوات التي لا تجلب إلا الكراهية، وسفك الدماء، والخراب والدمار، وتمزيق الشعب اليمني الموحد.

فإن السكوت في مثل هذه النوازل تقصير، والبيان فيها أمانة، وأهل السنة أولى الناس بالقيام بها، لما عرف عنهم من صدق المنهج، ونقاء القصد،

والوقوف مع الحق حيثما كان.

وإننا لنشهد لله أن للشيخ أبي بلال الحضرمي جهودا ظاهرة وملموسة في نصرة السنة، ومحاربة البدعة، والدفاع عن المنهج السلفي، وأنه ممن عُرف بالثبات عند النوازل، والصدق في المواطن الحرجة، وإن السلفيين في اليمن وخارج اليمن ليشكرون له هذه المواقف المشرفة، ولا سيما في أوقات الفتن، التي يتميز فيها الصادق من المتلون.

كما أننا نوجه نصيحة صادقة لإخواننا مشايخ ودعاة أهل السنة جميعا، أن يكون لهم في هذا الوقت الحساس نشاط ظاهر، وصدع بالحق، وقيام بالواجب، في التحذير من داء العنصرية، وأن يبينوا خطره في خطاباتهم، ومحاضراتهم، ومنشوراتهم، وأن يوعوا الناس من عدم الانجرار خلف الدعوات التي تدعو إلى الكراهية، وسفك الدماء، والخراب والدمار، وتمزيق الشعب اليمني الموحد، فإن السكوت في مثل هذه المواطن تقصير، والبيان فيها أمانة، والله سائلكم عما استرعاكم.

فاتقوا الله في الدعوة، واتقوا الله في الكلمة، وأجمعوا، وأصلحوا، وكونوا حصنا منيعا للناس أمام الفتن، وسدا واقيا أمام دعاة الشر والفساد، فإن الدين النصيحة، وأهل السنة أحوج ما يكونون اليوم إلى كلمة تجمع القلوب، وتطفئ نار الفتن، وتغلق أبواب الشر والحمد لله أنتم كذلك وإنما هو نداء من باب ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الذاريات:٥٥].

نسأل الله أن يحفظ مشايخ أهل السنة، وأن يبارك في جهودهم، وأن يجزي شيخنا أبا بلال الحضرمي خير الجزاء، وأن يجعله وسائر إخوانه مفاتيح

للخير مغاليق للشر، وأن يؤلف بين قلوب أهل اليمن على الحق.

تنبيه ورد على شبهة مثارة.

فقد أثار بعض الناس شبهة مفادها أن الانفصال وإقامة دولة سنية خير من بقاء الوحدة مع وجود الحوثي الرافضي، وهذا كلام غير صحيح، ومخالف للمنهج السلفي في النظر إلى المصالح والمفاسد، وسأفرد عليه الرد في منشور قادم غير هذا بإذن الله ولكن أقول هنا وأرد باختصار من أربعة أوجه:

الوجه الأول:

أن دولة الرفض والباطل لا يستقر لها ملك، ولا يدوم لها سلطان، وسنن الله جارية في كسر قرون الباطل، وذهاب دولته، فلا يجوز بناء قرارات مصيرية دائمة على واقع طارئ محكوم بالزوال بإذن الله.

الوجه الثاني:

أن الدعوة إلى الانفصال تسليم عملي باغتصاب الحوثي للشمال، وإقرار لأمر واقع مليشياوي، مع أن هذا الكيان لم يعترف به أبدا لا إسلاميا ولا عربيا بل ولا دوليا، ولا يعد دولة شرعية بحال، بينما الشرعية معترف بها إسلاميا، ودوليا، وعربيا، وهم في الأدلة الشرعية ولاة أمورنا، فكيف يعالج باطل باعتراف أشد منه.

الوجه الثالث:

أن الانفصال إذا وقع ثم كسر الله بعد ذلك شوكة الحوثي، فكيف تعاد الوحدة وقد مزقت بإرادة أهلها، فالانفصال سهل وقوعه عسير الرجوع،

ومفسدته حينئذ أعظم وأشد.

الوجه الرابع:

أن المنهج السلفي يقوم على جمع الكلمة، وحقن الدماء، وسد ذرائع الفتن، لا على توسيعها، ولا على تقديم حلول ظاهرها حفظ الدين، وباطنها تفتيت المجتمع وفتح أبواب اقتتال لا تنغلق.

فالواجب الحذر من هذه الدعوات، وعدم الانجرار خلف حلول عاطفية لا تضبط بالشرع ولا تراعي المآلات، والله الهادي إلى سواء السبيل.

(٩) شعبان (١٤٤٧) من هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فصل:
المنشور الرابع عشر:

رد موسع على شبهة الانفصال بدعوى حفظ الدين من الحوثي الرافضي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد كنت كتبت ثناء على كلمة لشيخنا المبارك أبي بلال الحضرمي، وفي أثناء كتابته نشر مقال لكاتب أورد فيه شبهة، كما نشر مثلها لآخر حزبي يقال له زكريا اليافعي، وكان خلاصة هذه الشبهة أن الانفصال وإقامة دولة سنية خير من بقاء الوحدة في ظل وجود الحوثي الرافضي، وأن ذلك أهون الضررين وأقرب إلى حفظ الدين.

وكنت كتب الرد عليها في أربعة أوجه مجملة- ووعدت أني أتوسع في الرد عليها في منشور مستقل، فأقول مستعينا بالله ردا على هذه الشبهة -على طريقة أهل السنة في ميزان المصالح والمفاسد، والنظر في المآلات، لا بالعواطف ولا بالواقع المجتزأ- من عدة أوجه:

الوجه الأول: أنه مع ما يحصل من إجرام الرفض والباطل، فلن يستقر لهم ملك، ولن يدوم لهم سلطان.

هذا يقرر أن الباطل مهما علا فإن علوه مؤقت، فلا يبنى عليه حكم شرعي دائم، ولا تتخذ منه ذريعة لتمزيق بلد مسلم.

قال الله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة الإسراء: ٨١].

فمآل الباطل الزوال لا الاستقرار.

وقال سبحانه: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة الرعد: ١٧].

فالعبرة بالبقاء لا بالظهور المؤقت.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً، حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَّالُ»(١).

فسنة الله ماضية في كسر شوكة أهل الباطل مهما تجددت صورهم.

(١) رواه ابن ماجه (١٨٠).

الوجه الثاني: أن الانفصال تسليم عملي باغتصاب الحوثي للشمال والدعوة للانفصال ليست موقفا محايدا بل هي قرار عملي باغتصابه للشمال.

الدعوة إلى الانفصال ليست موقفا محايدا، بل هي إقرار عملي باغتصاب الحوثي للشمال، وتسليم له بالأمر الواقع، مع أن كيانه غير شرعي بحال.

فالكيان الحوثي لم يعترف به إسلاميا، ولا عربيا، بل ولا دوليا، ولا يعد دولة شرعية، فكيف يعالج باطل بإقرار أشد منه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [سورة هود: ١١٣].

فالنهي عن أدنى ميل للظالمين، والركون هنا سياسي ومعنوي.

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَنْ نَصَرَ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ، فَهُوَ كَالْبَعِيرِ الَّذِي رُدِّيَ، فَهُوَ يُنْزَعُ بِذَنَبِهِ»(١).

فانصرة تشمل التسويغ والإقرار، لا السلاح فقط.

الوجه الثالث: أن في أعناقنا بيعة شرعية والانفصال من شق العصا.

فمن أصول عقيدة أهل السنة وجوب السمع والطاعة في المعروف، وتحريم شق العصا والخروج، والانفصال صورة من صور نزع الطاعة، ولو غير اسمه.

---

(١) رواه أبو داود (٥١١٧)، وأحمد (١٧١٥٩)، وحسنه الالباني في «صحيح الجامع» (٦٢٧٦).

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [سورة النساء:٥٩].

فأمر بالطاعة دون تفريق بين حال قوة وضعف.

عَنْ نَافِعٍ قَالَ: جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ.

فَقَالَ: اطْرَحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً.

فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلِسَ، أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

«مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(١).

فيه تحريم نزع الطاعة بأي صورة كانت.

وعَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ فَقُلْنَا: حَدِّثْنَا أَصْلَحَكَ اللهُ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُ اللهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ: دَعَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ.

---

(١) رواه مسلم (١٨٥١).

قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»(١).

فقيد الخروج بأشد القيود، وهي غير متحققة هنا.

الوجه الرابع: أن دعوى التوافق والتراضي على الانفصال خير.

القول بأن الانفصال إن وقع بتوافق وتراض فهو خير، فالمحرم لا يباح بالتراضي ولا تتغير أحكام الشرع بتغير الشعارات.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦﴾ [سورة النحل:١١٦].

وأي خيرية بتوافق يخالف الكتاب والسنة مبني على قوانين وضعية توافقية سياسية، على فرض ذلك.

الوجه الخامس: أن قاعدة المتغلب أسيء تنزيلها.

قاعدة السمع والطاعة للمتغلب قررها أهل السنة لحقن الدماء وحفظ الجماعة، لا لتشريع الانفصال ولا لتعدد الولايات ولا لإسقاط بيعة قائمة.

قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [سورة الأنفال:٤٦].

فالتنازع السياسي سبب الفشل وزوال القوة.

وعَنْ عَرْفَجَةَ بْنِ ضُرَيْحٍ الْأَشْجَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) رواه البخاري (٧٠٥٥) ومسلم (١٧٠٩).

«إِذَا كُنْتُمْ عَلَى جَمَاعَةٍ فَجَاءَ مَنْ يُفَرِّقُ جَمَاعَتَكُمْ وَيَشُقُّ عَصَاكُمْ فَاقْتُلُوهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ»(١).

فيه تحريم كل مشروع يؤدي إلى شق الجماعة.

الوجه السادس: أن درء مفسدة لا يكون بجلب مفسدة أعظم

الانفصال مفسدته عامة طويلة الأثر، فلا يدفع شر محتمل بفتح باب شر أعظم وأدوم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الأعراف: ٥٦].

فيها النهي عن كل فعل يؤدي إلى فساد عام.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ».

قاعدة كلية تمنع هذا المسلك.

الوجه السابع: أن الانفصال إذا وقع تعذر الرجوع إلى الوحدة إلا أن يشاء الله

الانفصال سهل الوقوع عسر الرجوع، وإذا مزقت الوحدة بإرادة أهلها تعذر جمعها بعد ذلك.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٥].

فذم التفرق المتعمد بعد قيام الحجة.

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٣٦٥)

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»(١).

فيه تحريم مفارقة الجماعة ولو يسيرا.

الوجه الثامن: أن الانفصال يفتح أبواب اقتتال لا تنغلق

التقسيم لا يطفئ الفتنة، بل ينقلها ويضاعفها، ويفتح أبواب اقتتال داخلي وخارجي.

قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الأنفال: ٤٦].

فالاقتتال سبب ذهاب القوة.

عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟

قُلْتُ: أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ.

قَالَ: ارْجِعْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

«إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ».

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟.

قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»(٢)

فيه التحذير الشديد من الاقتتال الداخلي بين المسلمين.

---

(١) رواه أبو داود في «سننه».

(٢) رواه البخاري (٣١) ومسلم (٢٨٨٨)

الوجه التاسع: أن حفظ الدماء لا يتحقق بالانفصال

دعوى أن الانفصال يحقن الدماء قلب للحقائق، فالدماء لا تصان بالفرقة بل بالجماعة.

الوجه العاشر: أن الوحدة والانفصال من مسائل المصالح لا العقائد

جعل الانفصال معيارا لحفظ السنة خلط بين مسائل السياسة وأصول الاعتقاد.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحجرات: ١٠].

فالأخوة الإيمانية مقدمة على الاعتبارات السياسية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»(١)

فيه تحريم كل ما يؤدي إلى الخذلان العام.

والانفصال خذلان للشعب السني الذي يعيش تحت قهر الرافضة في الشمال وتسليمهم له.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٥).

الوجه الحادي عشر: أن منهج أهل السنة هو سد ذرائع الفتن لا فتحها.

أهل السنة عرفوا بالصبر ولزوم الجماعة، لا بابتكار حلول توسع دائرة الفتن.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة الأنفال: ٢٥].

فالفتن إذا وقعت عمت.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً، أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ»(١).

ففيه الأمر باعتزال أسباب الفتن ودعوى الانفصال سعيٌ غير مباشر، يلزم منه إقحام الناس في الشمال للرضى والتعايش مع الحوثي الرافضي.

الوجه الثاني عشر: أن تاريخ أهل السنة شاهد بجمع الكلمة عند النوازل

لم يعرف عن السلف أنهم واجهوا الفتن بالتقسيم، بل بالصبر وجمع الكلمة.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة آل

(١) رواه البخاري (٧٠٨١) ومسلم (٢٨٨٦)

عمران:١٠٣].

هذه الآية أصل جامع مانع لكل صور التمزق.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَدُ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»(١)

فالنصرة والبركة في الاجتماع لا في الفرقة.

الوجه الثالث عشر: التصدر بهذا الأمر وهذه النازلة العظيمة دون الرجوع للعلماء جناية على المجتمع.

فهاتوا لنا عالما واحدا من أهل السنة السلفيين أقر هذا الانفصال وأفتى بجوازه ونهج منهجكم في التقعيد لهذه المسألة الحساسة وبت الحكم فيها.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [سورة النساء:٨٣].

فترك الخوض في ذلك والرجوع للعلماء هو الواجب.

وقال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة النحل:٤٣].

فاتركوا التصدر لمثل هذه القضايا التي مرجعها العلماء وليس المفسبكين وأصحاب مواقع التواصل الاجتماعي.

(١) رواه الترمذي في «جامعه» (٢١٦٦).

ختاما:

يتبين مما تقدم أن شبهة الانفصال بدعوى حفظ الدين شبهة باطلة من عدة أوجه اكتفيت باثني عشر وجها، تخالف أصول أهل السنة في السمع والطاعة، واعتبار المصالح والمفاسد، وتؤول إلى شق العصا، وتمزيق الصف، وفتح أبواب شر لا تنغلق.

هذا والله أعلم، والله الهادي إلى سواء السبيل.

(١٠) شعبان (١٤٤٧) من هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فصل:
المنشور الخامس عشر:

تعقيب على دعوة حصر الخطاب في الحوثي في الشمال فقط وعدم الانكار على دعوة الانفصال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

وصلني منشور لبعض الإخوة، وطلب مني غير واحد من الإخوة والأحبة التعقيب عليه وبيان ما فيه، لما تضمنه من دعوة إلى حصر الخطاب والإنكار في الحوثي في الشمال فقط، والتنبيه على الكف عن الإنكار على دعوات الانفصال والعصبية، فرأيت أن أكتب هذه الكلمات بيانا للمنهج، ونصحا لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، لا انتصارا لنفس ولا جدالا، وإنما إبراء للذمة، وقياما بواجب البيان.

فأقول مستعينا بالله:

لا يختلف اثنان من أهل السنة على أن الحوثي الرافضي هو عدو الدين

والأمة، وأنه رأس البلاء في اليمن، وأن جرائمه في العقيدة والدماء والأعراض والمناهج والمساجد معلومة مشهودة لا ينكرها إلا مكابر، وقد قام أهل السنة -شمالا وجنوبا- بواجب التحذير منه منذ ظهوره، ولا يزالون.

لكن جعل ذلك ذريعة لإسكات النصيحة، أو منع البيان، أو حصر الخطاب في جهة واحدة فقط، فهذا مسلك غير صحيح شرعا ولا منهجا وذلك لأمور:

أولا: أن التحذير من الحوثي لا يتعارض مع إنكار الأخطاء في أي جهة أخرى، بل هذا من تمام المنهج السلفي، إذ الحق لا يتجزأ، والعدل لا يعرف المناطق ولا المسميات، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة المائدة:٨].

فمنهج أهل السنة أن ينكروا الباطل حيثما كان، ومع من كان.

ثانيا: دعوى أن توجيه النقد أو التحذير من الأخطاء الحاصلة يشتت البوصلة دعوى غير مسلمة، لأن البوصلة الشرعية واحدة، وهي نصرة الحق ومحاربة الباطل كله، لا بعضه، وقد كان السلف يحذرون من الخوارج والقدرية والرافضة في وقت واحد، ولم يقولوا نؤجل هذا حتى ننتهي من ذاك.

ثالثا: ليس كل من حذر من دعوات انفصال أو عصبيات مناطقية أو أخطاء سياسية أو أمنية قد ترك التحذير من الحوثي، ولا كل ناقد لأخطاء

دعوة الانفصال عدو لأهله أو جاحد لفضله، بل هذا تعميم غير منصف، وهو نفسه مما يفتح باب العصبية التي نحذر منها.

رابعا: القول إن الجنوب نصر السنة وآوى المهجرين أمر يشكرون عليه ولا ينكره منصف، لكن هذا لا يجعل أي مشروع سياسي أو دعوة مناطقية أو أخطاء واقعة بمنأى عن النقد الشرعي، فالإحسان لا يسوغ الباطل، والفضل لا يمنع النصيحة.

خامسا: وأخطر ما في هذا الخطاب أنه قد يتحول -من حيث لا يشعر قائله- إلى كف للعلماء والدعاة عن البيان، وإلى تصوير كل نصح أو إنكار على أنه خدمة للحوثي، وهذا قلب للموازين، فالسكوت عن الخطأ ليس نصرة للحق، بل قد يكون من أعظم أسباب الفتن.

سادسا: إن العصبية والمناطقية لا تعالج بإسكات طرف، ولا بتوجيه السهام لطرف واحد، بل تعالج بالعدل، والبيان، وإنكار الباطل أينما كان، شمالا كان أو جنوبا، فبهذا تطفأ الفتن، لا بالكيل بمكيالين.

سابعا: أن من أعظم ما يستغله العدو هو الفرقة والاختلاف الداخلي، فكل نزاع في الصف، وكل تشظٍّ في الكلمة، هو ثغرة ينفذ منها الحوثي، ويطيل بها أمد الصراع.

أما إذا توحد الصف، وسكنت النفوس، وقدِّمت المصلحة العامة، فإن ذلك يقصّر الطريق، ويكسر شوكة العدو، ويعجّل بزواله بإذن الله، إذ ما اجتمع قوم على حق إلا نصرهم الله، ولا تفرقوا إلا تسلط عليهم عدوهم.

ثامنا: ومما ينبغي التنبه له أن هذه النغمة قد سمعناها من قبل من الإخوان

المسلمين وغيرهم، فكلما نُصِحوا، أو حُذِّروا من الحزبية، والفرقة، والأخطاء، قالوا: توجَّهوا إلى الحوثي، ولا تتكلموا فينا، لا صوت يعلو فوق المعركة.

وهذه حيلة قديمة، يُراد بها إسكات النصيحة، وتبرير الأخطاء باسم العدو المشترك.

فالواجب ألا نتأثر بمثل هذه النغمات، فإن جمع الكلمة لا يكون بترك الحق، ولا بتعطيل النصح، بل بإصلاح الخطأ، ووزن الأمور بالشرع، لا بالعواطف والشعارات.

وخلاصة القول:

نعم، الحوثي هو العدو الأكبر، ونعم، يجب أن تبقى البوصلة موجهة إليه، لكن ليس على حساب النصيحة، ولا على حساب تحريم العصبية، ولا على حساب شرع الله الداعي لوحدة الصف ونبذ العنصرية المقيتة.

فالواجب حاليا هو الجمع بين الأمرين:

١- محاربة الحوثي والتحذير منه.

٢- وإنكار كل دعوة تفرق الصف، أو تشق العصا، أو تؤسس لعصبية أو فتنة، أيًّا كان مصدرها، وبهذا وحده تحفظ السنة، وتصان الجماعة، وتغلق أبواب الشر.

والله الهادي إلى سواء السبيل. (١١) شعبان (١٤٤٧) من هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

الخاتمة

العصبية الجاهلية داء خطير، سماه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نتنا، وحذر منه أشد التحذير، لأنه يهدم الاخوة، ويفسد القلوب، ويمزق المجتمعات.

وليس الاسلام بحاجة إلى أسماء جديدة ولا رايات متعددة، وإنما بحاجة إلى قلوب صادقة، وألسنة صادقة، وأخلاق نبوية، تعيد للناس ميزانهم الصحيح.

فمن وجد في قلبه شيئا من العصبية، فليبادر بالتوبة، وليتذكر أن الله سائله عن كلمته، ونظرته، وميزانه.

ونسأل الله أن يطهر قلوبنا من الكبر، وألسنتنا من الفحش، وأعمالنا من الرياء، وأن يجعلنا إخوانا متحابين فيه، مجتمعين على الحق، متعاونين على البر والتقوى.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهرس

اطلاع وإذن بنشر من شيخنا الناصح الأمين يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى..... ٥

مقدمة المؤلف حفظه الله..... ٦

اسم الرسالة وسبب كتابتها..... ٩

مثالٌ معاصرٌ على العصبية الجاهلية: لقب (دِحْبَاشِي شمالي)..... ١١

نصيحة لبعض إخواننا من أهل الجنوب..... ١١

الباب الاول: حقيقة العصبية الجاهلية وخطرها..... ١٤

الفصل الاول: معنى العصبية لغة وشرعا..... ١٥

العصبية في اللغة:..... ١٥

العصبية في الشرع:..... ١٥

الفصل الثاني: العصبية من أخلاق الجاهلية التي أبطلها الإسلام..... ١٦

الفصل الثالث: الحكم الشرعي للعصبية الجاهلية..... ١٩

وخلاصة ذلك:..... ٢١

الفصل الرابع: خطورة العصبية على الدين والمجتمع ٢١

وخلاصة الأمر:..... ٢٦

الباب الثاني: موقف الإسلام الحاسم من العصبية الجاهلية في النصوص الشرعية ٢٨

الفصل الاول: النصوص القرآنية في إبطال العصبية والتفرق ٢٨

الفصل الثاني: نصوص السنة في هدم العصبية والفخر..... ٣٠

وخلاصة الأمر:..... ٤١

الفصل الثالث: العصبية سبب للهلاك وسوء العاقبة ٤٢

فائدة..... ٤٢

الباب الثالث: صور العصبية الجاهلية في الواقع المعاصر ٤٥

الفصل الأول: العصبية القبلية والمناطقية ٤٥

الفصل الثاني: العصبيّةُ الحزبيّةُ والمذهبيّةُ والفكريّة..... ٤٧

الأدلة الشرعية على تحريم الحزبية والعصبية الفكرية ٤٧

الدليل الأول:..... ٤٧

الدليل الثاني:..... ٤٨

الدليل الثالث:..... ٤٨

الدليل الرابع: ٤٨
الدليل الخامس: ٤٩
الدليل السادس: ٤٩
الدليل السابع: ٥٠
خلاصة الفصل: ٥٠
الفصل الثالث: العصبية الطبقية والمالية ٥٠
الباب الرابع: المنهج الشرعي في اقتلاع العصبية الجاهلية وبناء الأخوة ٥٢
الفصل الأول: الأخوة الايمانية أعظم رابطة بين الناس ٥٢
الفصل الثاني: فساد موازين الجاهلية في الحكم على الناس ٥٣
الفصل الثالث: علاج القلب من العصبية الجاهلية ٥٤
أولا: استحضار الوقوف بين يدي الله ٥٥
ثانيا: تذكر أن الله يحاسب على القلوب قبل الجوارح. ٥٥
ثالثا: تذكر أن الكبر من أعظم المهلكات. ٥٥
رابعا: محاسبة النفس عند كل شعور تعال أو احتقار. ٥٥
خامسا: الاستشعار أن الميزان عند الله الأعمال الصالحة ٥٦
سادسا: تذكر أن هذا النسب ينتهي التفاخر به بالموت ثم يكون حسرة

على أصحابه يوم القيامة..... ٥٧

الفصل الرابع: علاج اللسان وضبط الألفاظ..... ٥٧

أولا: التثبت قبل الكلام ومراقبة القول ٥٧

ثانيا: تحريم السخرية واللمز بكل صورهما ٥٨

ثالثا: اجتناب الفحش وسوء الخطاب..... ٥٨

رابعا: ترك التعريض بالناس والتلميح الجارح..... ٥٩

خامسا: تعويد اللسان على الذكر بدل اللغو والاحتقار..... ٦٠

الفصل الخامس: علاج العصبية الجاهلية على مستوى المجتمع ٦٠

أولا: قيام العلماء ببيان الحكم الشرعي وعدم كتمانه ٦١

ثانيا: دور الخطباء والدعاة في كشف العصبيات المعاصرة ٦١

ثالثا: تربية الأبناء على ميزان الشرع لا ميزان الأسماء ٦٢

رابعا: عدم السكوت على التنابز والاحتقار في المجالس..... ٦٣

خامسا: تصحيح الأعراف الاجتماعية ومواجهة التقاليد الفاسدة.... ٦٣

سادسا: تصحيح مفهوم تعلم النسب أنه لصلة الرحم ٦٤

والخلاصة:..... ٦٥

الفصل السادس: آثارُ الكلمةِ العُنصريّةِ في تفكيكِ المجتمعِ وإثارةِ الفِتَن
..... ٦٥

أولا: الكلمةُ العنصريّةُ سببٌ لإحياء الجاهليّة ٦٥
ثانيًا: الكلمةُ العنصريّةُ سببٌ في تمزيق الأخوّة الإيمانيّة ٦٦
ثالثًا: الكلمةُ العنصريّةُ تُشعل العداوة والبغضاء..... ٦٧
رابعًا: الكلمةُ العنصريّةُ تُسقِطُ المروءةَ وتُفسدُ الأخلاق ٦٧
خامسًا: الكلمةُ العنصريّةُ بابٌ للفتنة العامّة..... ٦٨
خلاصة الفصل:..... ٦٨
الباب الخامس: الخطاب في النصح والجواب..... ٦٩
تمهيد..... ٦٩
فصل:..... ٧٠
المنشور الأول:..... ٧٠
شمالي جنوبي..... ٧٠
فصل:..... ٧٢
المنشور الثاني:..... ٧٢
وأسوء ما تكون العنصرية من صالح..... ٧٢
فصل:..... ٧٣
المنشور الثالث:..... ٧٣
أولا: أف للعنصرية الجاهلية حين تلبس ثوب الصلاح..... ٧٣

ثانيا: العصبية الجاهلية سلاح أعداء الأمة. ٧٤
ثالثا: لا شمالي ولا جنوبي نحن أمة واحدة..... ٧٤
رابعا: الجاهلية الجديدة أخطر من القديمة ٧٥
خامسا: حين تفرقنا الأسماء وتجمعنا الشهادتان ٧٦
خامسا: وأسوء ما تكون العنصرية من صالح ٧٧
فصل:..... ٧٨
المنشور الرابع:..... ٧٨
أولا: العصبية مقياس الجهل ولو خرجت من صالح ٧٨
ثانيا: الإسلام يهدم العنصرية ويقيم الأخوة..... ٧٩
ثالثا: دعوها فإنها منتنة..... ٧٩
رابعا: رايات الجاهلية لا تجمع أمة..... ٨٠
خامسا: من لم تكفه أخوة الإسلام فلن تجمعه الأرض. ٨٠
سادسا: دعوها فإنها منتنة (إلى أصحاب شمالي جنوبي) ٨١
فصل:..... ٨٢
المنشور الخامس:..... ٨٢
الاحتقار ظلم فاحذر من (شمالي دحباشي)..... ٨٢
فصل:..... ٨٤

المنشور السادس:..... ٨٤
تأدب بشرع الله يا محتقر عباد الله (شمالي دحباشي) ٨٤
فصل:..... ٨٦
المنشور السابع:..... ٨٦
سلفي عنصري (على مبدأ شمالي دحباشي) هذه مصيبة..... ٨٦
فصل:..... ٨٨
المنشور الثامن:..... ٨٨
ظلم أن ينسب الشرفاء والصلحاء من أبناء الشمال إلى فاسق يسمى (دحباش)..... ٨٨
فصل:..... ٨٩
المنشور التاسع: ٨٩
دحباشي شمالي..... ٨٩
فصل:..... ٩١
المنشور العاشر:..... ٩١
وصية لكل سلفي طالب علم وشيخ..... ٩١
فصل:..... ٩٢
المنشور الحادي عشر:..... ٩٢

شهادة لله ثم للتاريخ..... ٩٢

فصل:..... ٩٣

المنشور الثاني عشر:..... ٩٣

نداء عاجل لأحبتنا الشباب سواء في الشمال أو الجنوب. ٩٣

فصل:..... ٩٥

المنشور الثالث عشر: ٩٥

ثناء وشكر على كلمة الشيخ أبي بلال الحضرمي في نبذ عنصرية شمالي جنوبي وتضمن هذا المنشور رد على شبهة مثارة؟! ٩٥

تنبيه ورد على شبهة مثارة..... ٩٩

فصل:..... ١٠١

المنشور الرابع عشر:..... ١٠١

رد موسع على شبهة الانفصال بدعوى حفظ الدين من الحوثي الرافضي ١٠١

الوجه الأول: أنه مع ما يحصل من إجرام الرفض والباطل، فلن يستقر لهم ملك، ولن يدوم لهم سلطان. ١٠٢

الوجه الثاني: أن الانفصال تسليم عملي باغتصاب الحوثي للشمال والدعوة للانفصال ليست موقفا محايدا بل هي قرار عملي باغتصابه

للشمال..... ١٠٣

الوجه الثالث: أن في أعناقنا بيعة شرعية والانفصال من شق العصا. ١٠٣

الوجه الرابع: أن دعوى التوافق والتراضي على الانفصال خير.... ١٠٥

الوجه الخامس: أن قاعدة المتغلب أسيء تنزيلها..... ١٠٥

الوجه السادس: أن درء مفسدة لا يكون بجلب مفسدة أعظم ١٠٦

الوجه السابع: أن الانفصال إذا وقع تعذر الرجوع إلى الوحدة إلا أن يشاء الله..... ١٠٦

الوجه الثامن: أن الانفصال يفتح أبواب اقتتال لا تنغلق..... ١٠٧

الوجه التاسع: أن حفظ الدماء لا يتحقق بالانفصال..... ١٠٨

الوجه العاشر: أن الوحدة والانفصال من مسائل المصالح لا العقائد ١٠٨

الوجه الحادي عشر: أن منهج أهل السنة هو سد ذرائع الفتن لا فتحها. ١٠٩

الوجه الثاني عشر: أن تاريخ أهل السنة شاهد بجمع الكلمة عند النوازل ١٠٩

الوجه الثالث عشر: التصدر بهذا الأمر وهذه النازلة العظيمة دون الرجوع للعلماء جناية على المجتمع. ١١٠

ختاما:..... ١١١

فصل: ١١٢

المنشور الخامس عشر: ١١٢

تعقيب على دعوة حصر الخطاب في الحوثي في الشمال فقط وعدم الانكار على دعوة الانفصال ١١٢

أولا ١١٣

ثانيا ١١٣

ثالثا ١١٣

رابعا ١١٤

خامسا ١١٤

سادسا ١١٤

سابعا ١١٤

ثامنا ١١٤

وخلاصة القول: ١١٥

الخاتمة ١١٦

الفهرس ١١٧

تلخيص الفوائد ١٢٧

تلخيص الفوائد

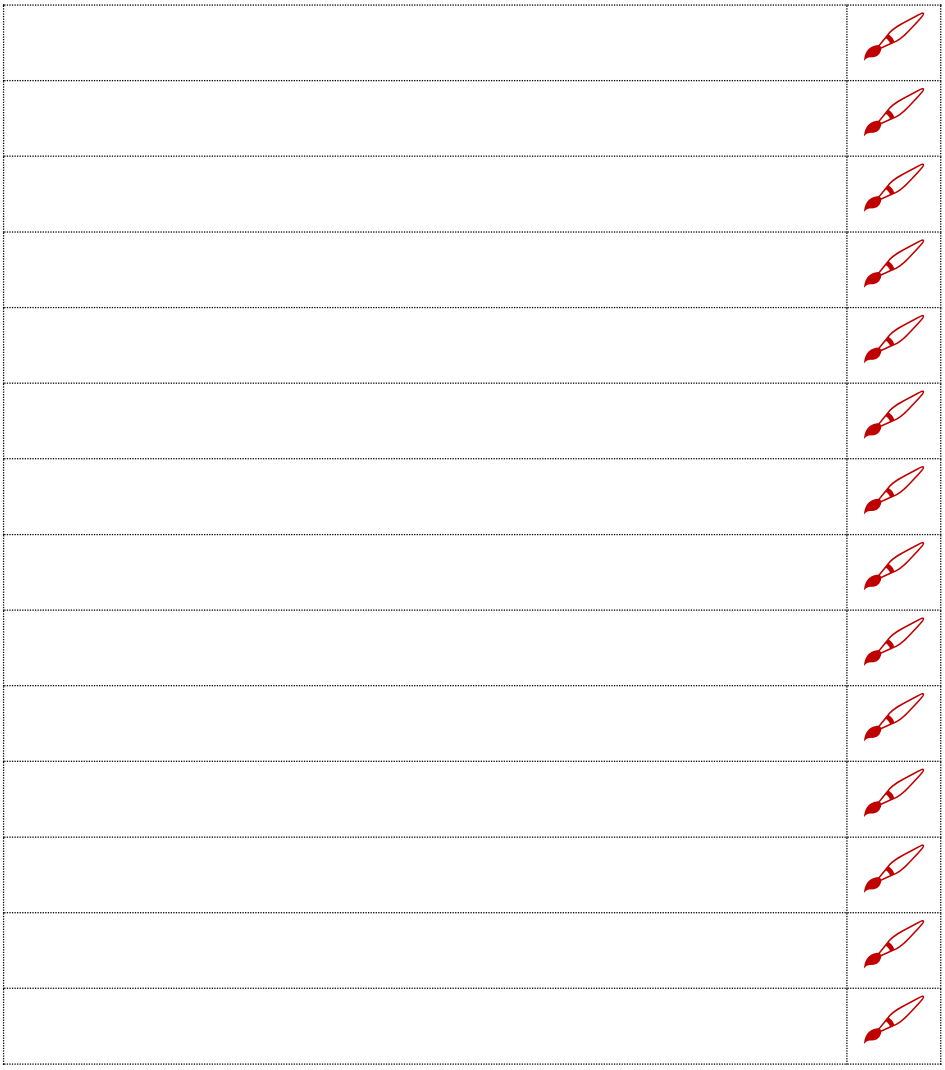

المهند
للتنسيق والتصميم والرد على الاخراج
ت/ ٧٧٣٥٥٣٢٨٢

صدر حديثًا للمؤلف

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن

عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف فندق الريان
+٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤ - +٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٢
عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف محطة النهدي
+٩٦٧٧٧٠٠١٢٥٢٢
حضرموت الحامي - جوار مسجد انور - الشارع الشرقي من النادي
+٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٢٣ - +٩٦٧ ٠٥٣٤١٥٩٨
حضرموت سيئون شحوح - مقابل مسجد ابراهيم - ومدرسة شحوح للبنين
+٩٦٧٧٨٣٢٤٦٥١٣
alshafibooks@gmail.com